روايات رومانسية عالمية

عبير

اليزابيث هنتر

برج الرّياح

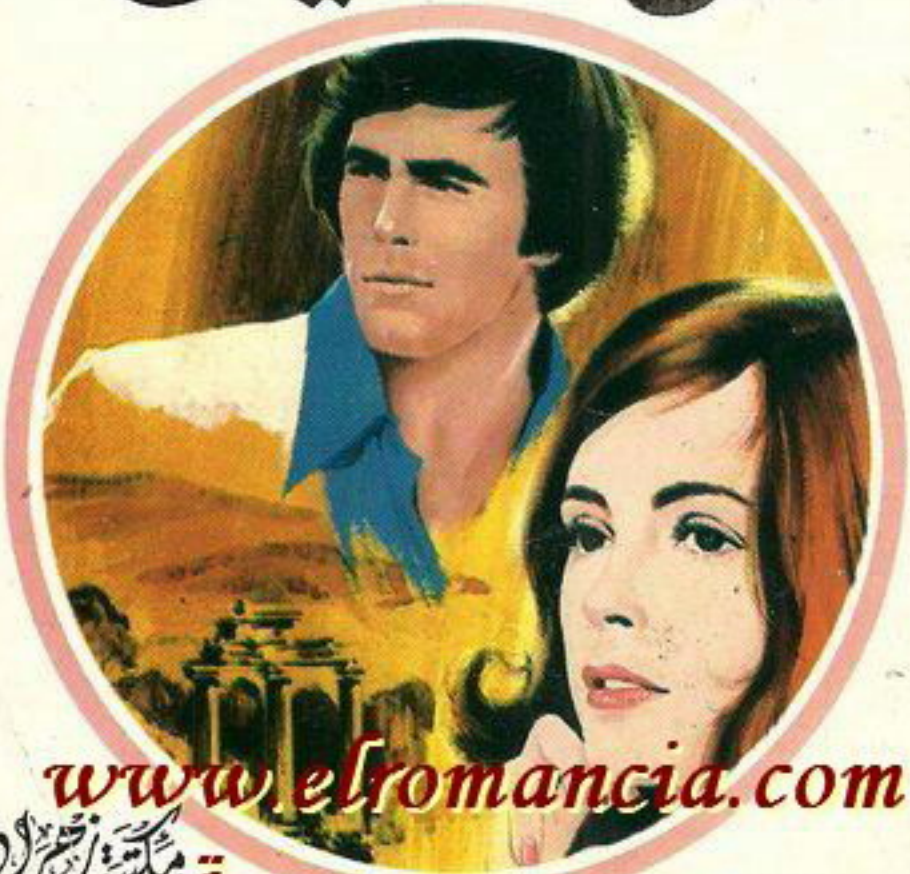

www.elromancia.com

مكتبة جرير

مرمورية

روايات رومانسية عالمية

عبير

برج الرياح

حين يفقد
الطفل والدية .. من يبقى
له.. من يأخذ بيده فى الحياه؟ يعلمة
ويربية, من له الحق فى تربيتة: اهل ابية ام
اهل أمه؟ هذا ما حدث لآلكسندر. فبعد وفاة والدتة
الانجليزية ووالده اليونانى, تنازعته عواطف خالته
تشاريتى وعمه لوكوس.. كل منهما يحس بالحق فى رعايته.
لوكوس بعقليته اليونانية وشخصيته الطاغية يحاول فرض
شروطة على تشاريتى التى حضرت الى اليونان لاعاده الطفل
الى بريطانيا حسب وصيه اختها. لوكوس يرفض التخلى عن
الكسندر, تشاريتى تصر, فهل تقبل تشاريتى ما
اشترطة لوكوس, ام تترك الطفل وتعود مع
خطيبها الانجليزى الى بلادها؟

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية - القاهرة
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت: ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل: ٠١٢٣٧٨٦٤١٧٠

١ ـ أبوللو

استيقظت العاصمة اليونانية أثينا لتوّها بعد فترة قيلولة طويلة وبدأت الحياة تدب في متاجر سوق البلاكا واحداً بعد الآخر، وفجأة سكتت أغنية ذات نغمات حزينة آتية من المذياع، وتفرّقت السيدات المتشحات بالسواد بعد أن فرغن من حديثهن الطويل، وأسرعن متجهات الى منازلهن قبل الغروب. كانت الساعة الرابعة بعد الظهر ولم يبق سوى أسبوع واحد حتى أعياد الميلاد ورأس السنة.

مالت تشاريتي آرتشر برأسها قليلاً، وأخذت تنظر الى هيكل الأكروبوليس الذي يقف شامخاً، بحيث يمكن مشاهدته من أي اتجاه، فيظهر فجأة في نهاية طريق، أو يطلّ عليك من فوق صفّ من المباني، ويذكرك دائماً بأن تماثيل القدماء ما زالت تفرض حمايتها على المدينة. كانت تشاريتي مصممة على زيارة الأكروبوليس بمجرد الالتقاء بأختها واكتشاف ما حدث بالضبط.

كنّ ثلاث أخوات أطلقت عليهن أسماء فيث و هوب وتشاريتي (ايمان و أمل و إحسان) وهي أسماء كانت تسبب لهن الكثير من الضيق، تزوجت أختاها خارج انكلترا منذ فترة طويلة، وظلت تشاريتي أصغر أختيها تقيم في منزلها لترعى والدها المحتضر، ولتكافح من أجل الابقاء على منزل الأسرة، لأن أختيها اعتقدتا أنه قد يصبح مفيداً في يوم من الايام عندما تكبر أسرتاهما.

تزوجت هوب من أمريكي وعاشت في مزرعة في غرب فيرجينيا واستمتعت بحياتها هناك. أما فيث فكانت لها قصة حب رومانتيكية مع شاب يوناني غامض، ولم يزر انكلترا أبداً منذ ذلك الوقت. وتساءلت تشاريتي كم من السنوات مرّت منذ آخر مرة رأت فيها فيث، ربما خمس سنوات، لم يقطعها سوى بطاقات بريدية متفرقة ورسائل قليلة، كانت احداها سبب مجيء تشاريتي الى أثينا، فلم تستطع أن تفهم لها أولاً من آخر، ولكن ذلك لم يثر دهشتها، لأن فيث تحب الأشياء المعقدة بدون البسيطة، الغموض بدون الوضوح في أي شيء تفعله، وأحد هذه الأشياء، أن تأتي بأختها الصغرى مهرولة من آخر أوروبا مع قليل من التوجيهات، ليس فيها توجيه واحد واضح، مثل المكان الذي ستقيم فيه أو مكان اللقاء!

سافرت تشاريتي الى أثينا في اليوم السابق، وهي التي لم تذهب في حياتها الى أبعد من فرنسا. ومنذ بداية رحلتها لم تعرف لها رأساً من عقب. حتى حروف الكلمات كانت غريبة بالنسبة إليها ولا تفهم معناها. وكانت تحمل عنوان الفندق الذي تريد الاقامة فيه والذي حددته لها أختها، ولكن يبدو أنه ما من انسان يعرف أين يوجد هذا الفندق. توجه بها التاكسي الى فندق هيلتون أولاً ثم الى فندق غراند بريتاني إلاّ أن تشاريتي هزت رأسها نفياً مصممة على العنوان الذي معها. وهنا هز سائق التاكسي كتفيه بلا مبالاة وربّت على كتفها مؤاسياً، عندما حلّ الظلام في النهاية.

«كوكاكي»

صاح السائق فجأة وكأن نوعاً من السحر قد مسه.

«نعم، نعم، كوكاكي».

وبعد ثوان قليلة كانا أمام الفندق.

استيقظت بعد ليلة من النوم العميق وهي تشعر بالانتعاش.

وأمضت النهار في السير من الفندق الى وسط المدينة. وكان هناك الكثير يستحق المشاهدة.

وصلت الى البلاكا مبكّرة وتناولت غداءها في كافيتريا صغيرة حيث تعزف في المساء موسيقى البوزوكي الراقصة. وحاولت أن تسأل أي انسان له معرفة ولو ضئيلة بالانكليزية ليدلها على مكان برج الرياح ولكن أحداً لم يعرف. وأخيراً وجدته بنفسها وهي تحاول مشاهدة هيكل الأكروبوليس من مكان مناسب. كانت تعلم أن السوق في أثينا القديمة تقع تحت الأكروبوليس ، وعلى الخريطة التي معها كان يشار الى السوق باسم أغورا وهناك على جانب الخريطة وجدت برج الرياح.

أسرعت تشاريتي بعد هذا الاكتشاف المثير بشراء تذكرة، وسارت عبر أرض غير ممهدة متطلعة الى ذلك المبنى الغريب، ذي الثمانية أضلاع والذي ظلّ الاعتقاد سائداً لمدة طويلة بأنه قبر سقراط مما جعل الأتراك يحافظون عليه ويحوّلونه الى تكية، والواقع أن المبنى لم يكن قبراً بل كان ساعة مائية بناها السوريون في القرن الاول بعد الميلاد.

أعجبت تشاريتي بالمبنى حتى نسيت للحظة السبب في وجودها هناك. وعندما عادت الى نفسها جلست فوق صخرة عند أقدام البرج واخرجت رسالة أختها وأخذت في قراءتها مرة أخرى أثناء انتظارها:

«أختي العزيزة،

ماذا لو أمضيت عيد الميلاد في أثينا معي؟ لقد استجدّت أحداث وأنا في حاجة لمساعدتك. قد يكون من المناسب ابلاغك أنني قررت ترك نيكوس وأخذ الطفل معي. وهكذا تفهمين لماذا لا أستطيع استقبالك هنا. لذا حجزت لك مكاناً في فندق. قابليني في التاسع عشر

من هذا الشهر، عند برج الرياح في الساعة الرابعة بعد الظهر. وسأشرح لك كل شيء. تجدين التذكرة وكل شيء آخر تحتاجين اليه بما في ذلك بعض النقود داخل المحفظة. أعتمد على حضورك! إذا حدث لي أي شيء فأنا أرغب أن تأخذي طفلي وتتولي تربيته في انكلترا. صرت أكره اليونان وكل ما هو يوناني، ولا أستطيع أن أتحمل فكرة أن يكون طفلي يونانياً. سأحكي لك كل شيء بالتفصيل عندما نلتقي.

ليباركك الله

فيث

فور قراءة تشاريتي للرسالة لم تلق بالاً الى المأساة التي كانت تنطوي عليها، ومع ذلك يبدو أن أختها كانت في حالة من اليأس والحزن. تنهدت تشاريتي وهي تأمل بمعرفة المزيد عن الرجل الذي تزوجته فيث. كانت تعرف أن اسمه نيكوس باباندريوس، وينحدر من عائلة غنية جداً، ولكنها لم تر حتى صورة له.

استرجعت تلك المذكرة القصيرة المحايدة التي ردّت بها على رسالة اختها وتمنّت لو أنها جعلتها أكثر حرارة. فقد حاولت ألاّ تسمح لمشاعرها الشخصية أن تتدخل في الأمر، ولكنها لم تتمكن تماماً من اغفال البطاقات البريدية التي كانت ترسلها فيث، والتي لم تحدثها فيها عن شيء، وخاصة تلك البطاقة التي أرسلتها عندما توسلت اليها بالحضور لتشييع جنازة والدها. حتى هوب جاءت من الولايات المتحدة، وكانت السعادة تبدو عليها حتى أن الموت لم يغيّر حالة الهناء التي شعرت بها طوال اقامتها في الولايات المتحدة.

الوقت تجاوز الساعة الرابعة بقليل ولم يظهر أثر لفيث.

وقفت تشاريتي وهي تلملم معطفها حول جسمها. الجو بارد بالفعل، تحركت من مكانها وسارت وسط الأعمدة المحطمة لئلا تشعر بوطأة الانتظار، لكن القلق استبد بها. ماذا لو أنها لم تأت؟

وشعرت بقشعريرة ليس بسبب البرد، وانما بسبب توقع حدوث المجهول، ثم جلست مرة أخرى وأخرجت الكتاب الذي كانت تطالعه. أنها مصممة على الاحتفاظ بهدوئها، كعادتها دائماً. ستحضر فيث في نهاية الأمر وهي تتوقع أن تجد أختها في انتظارها. فهناك أشياء كثيرة يمكن أن تحدث وتكون السبب في تأخيرها. ربما كان الطفل مريضاً، أو ربما عاد زوجها الى المنزل مبكراً ورغب في أن تظل معه. ولكن لا فالسبب الأخير غير محتمل، ألم تقل في رسالتها: انني أكره اليونان وكل ما هو يوناني. وبالتأكيد كان نيكوس باباندريوس يونانياً.

اشترت الكتاب لأن اسم ابوللو كان من ضمن عنوانه وجذبتها صورة رمز الشمس على غلافه، يجلس مستريحاً الى جانبه بوسيدون رمز البحر عند الاغريق، وعلى الجانب الآخر توأمه ارتيميس. وكان يرفع يده اليسرى في اشارة لم تعد واضحة لأن هذه اليد كانت مفقودة، أما اليد الأخرى فكانت تلملم بخفة اطراف ثوبه، في أية حال أكثر الاشياء جاذبية فيه هو جمال رأسه، شعره مجعّد بطريقة حديثة تماماً، الأنف مستقيم واغريقي، يكاد يكون صلفاً لا يتفق مع نعومة الوجنتين، والفم ممتلىء، يبدو عابساً لكنه يكاد يكشف عن ابتسامة. لاحظت تشاريتي في المذكرة المكتوبة داخل الكتاب أن صورة الغلاف هذه أخذت عن الجانب الشرقي لسور هيكل البارثينون، وقررت أن ترى الأصل عندما تقوم في النهاية برحلتها الى قمة الأكروبوليس. نظرت الى أعلى، ورأت الأصل متجهاً اليها. كان شعره أسود مجعداً وليس ذهبياً بلون العسل، لم يكن الفم مبتسماً، ولكن التشابه كان مثيراً للدهشة. ولذلك هبت واقفة وهو يسير باتجاهها وحملقت فيه وهي تعلم تماماً أنها تتصرف تصرفاً فظاً، ولكنها لم تستطع أن تفعل غير ذلك كانت الأشعة الأخيرة للشمس تضيء وجهه، لتظهر بوضوح طول أهدابه وتشكيل فكه القوي.

سألها في لغة انكليزية سليمة:

«ما الأمر؟»

ربما كان انكليزياً، لكن لا، فمثل تلك النظرات لا بد أن تكون يونانية. انه أبوللو بعينه، دبّت فيه الحياة فسار على الأرض كأنه يملكها. أعطته الكتاب في صمت. نظر الى الغلاف وابتسم لتظهر أسنانه لامعة في الأشعة الذهبية للشمس الغاربة.

قال متسائلاً:

«هل تعتقدين أنه يشبهني أم من الأنسب لو عكسنا الوضع فإن أبوللو هو الذي جاء أولاً؟»

ردّت عليه قائلة:

«أعتقد ذلك».

هز كتفيه قائلاً:

«ربما».

ووضع الكتاب في جيبه بدون أن ينظر اليه مرة أخرى. راقبته تشاريتي وهو ينحني ليستند الى أسفل البرج، ويتفحصها في جرأة أحرجتها، ذكّرت نفسها بأن اليونانيين شعب يحب الاستطلاع، ويروقه أن يسأل دائماً اسئلة شخصية، ويحب أن يكون اتصاله بالآخرين عن طريق اللمس بدون أن يعني هذا شيئاً. في أي حال لم تكن في موقف يسمح لها بالشكوى، بل حدّقت فيه هي أيضاً. سألها فجأة:

«هل أتيت الى هنا لمقابلة شخص ما؟»

قفزت قائلة:

«اختي تأخرت».

ولوّح بيده للشمس الغاربة قائلاً:

«سيحلّ الظلام بعد قليل، ماذا ستفعلين اذا لم تأت؟»

«سوف أنتظر».

بدا عليه الضيق بها، ولكنها تظاهرت بعدم ملاحظة ذلك. أخرج الكتاب من جيبه مرة أخرى وفتح الصفحة التي تلي الغلاف وقرأ بصوت عال:

« تشاريتي آرتشر. هل أنت هي؟»

«نعم».

«إذاً أنت تنتظرين فيث باباندريوس».

التفتت تشاريتي إليه في حدّة قائلة:

«هل تعرفها؟ كيف حالها؟ هل ستأتي؟»

قال ببطء:

«كلا لن تأتي».

«إذاً ماذا عليّ أن أفعل؟»

وبدون أن تدري جاء صوتها متوسلاً، بطريقة جعلته يعاود النظر بعينيه السوداوين الى وجهها وقال بثبات:

«ستكونين غاية في الشجاعة وتتقبلين ما سأقوله لك. وبعدها تعودين الى انكلترا ولا تفكرين فينا مرة أخرى. هذا سيكون أفضل.»

أفضل لمن؟ وبللت شفتيها:

«هل أنت نيكوس؟»

هز رأسه نفياً وعيناه ما زالتا تنظران في عينيها:

«كلا... انني أخوه لوكوس... ربما سمعت عني؟»

عبثت بأصابعها في يأس وقالت:

«أختي ـ أختي لم تكن تجيد كتابة الرسائل...»

قال في دهشة:

«ولكن بالتأكيد كانت تكتب لك بعض الردود على رسائلك لها؟»

«بعض البطاقات البريدية القليلة. لم تكن تحب كتابة الرسائل.»

«وانت هل تحبين كتابتها؟»

«كلاّ، ولكنني أعتقد أنه كان لدي من الاسباب ما جعلني على اتصال دائم بها، فهي لها زوجها وابنها، بينما لم يكن لديّ ما يشغلني».

قاطعها قائلاً:

«كان هناك والدك لترعيه».

وبدا أنه يعرف الكثير عنها وتابع كلامه:

«ولكنني اعتقد أنه لم يكن لديك الكثير ليشغل قلبك. والآن مات ابوك. ألا يوجد شخص ما في حياتك بعد؟»

«إنّ لي اصدقاء. وقد أتزوج...»

«آه إن لك صديقاً خطيباً!»

«إنه لم يطلب الزواج مني بعد. وهذا لا يعنيك في شيء».

قالتها في شيء من الحدّة. لم ترغب التفكير في كولين والواقع أنها لم تكن تفكّر في كولين على الاطلاق، ولكن هو الذي كان يفكّر فيها، ويرسل لها الزهور ويصحبها للعشاء. ويزعجها أيّما إزعاج!

«وهل تنوين قبوله عندما يتقدّم لطلب يدك؟»

أخذ أبوللو يلحّ عليها متسائلاً غير عابىء بتعنيفها.

«نعم!»

«هذا حسن... فسوف يجعلك تقوين على ما سأقوله لك. فأنت جرعت في العام الماضي كأس الحزن حتى ثمالتها والانكليز بطبعهم لم يخلقوا للحزن».

«ومن الذي يستطيع ذلك؟»

قالتها تشاريتي بتحدّ. فابتسم ابتسامة قصيرة وقال:

«لقد عرف اليونانيون معنى المأساة منذ زمن طويل. فان لنا تاريخاً مأساوياً، ونعرف ماذا يعني أن نكون عبيداً وأن تنتزع منا أطفالنا. ماذا تعلمين أنت عن مثل هذه الأشياء؟»

تململت تشاريتي في ضيق وقالت:

«ما الذي تريد أن تقوله لي؟»

مدّ اليها يديه في حركة تعاطف رقيقة. ولدهشتها، وجدت نفسها تتجاوب معه بوضع يديها في يديه. فأشعرها دفء الأيادي بالراحة.

«إن الأمر يتعلق بأختك. لقد ماتت».

«ولكن هذا مستحيل. لقد قالت لي أنها ستقابلني هنا.»

قال برقة:

«لعلها كانت قادمة الى هنا. كل ما أعلمه أنها تشاجرت مع نيكوس، وركبت واحدة من سيارتيهما وقادتها هاربة من بيته. وبطبيعة الحال، تبعها في سيارة أخرى واعتقدت انه كان يحاول اخافتها عندما أجبرها أن تسير على حافة الطريق. وهي لا تجيد القيادة فسقطت بسيارتها في المنحدر... وتبعها نيكوس. وعندما عثر عليهما لم يكن أي منهما حياً».

حملقت تشاريتي فيه وملء عينيها الشك فيما يقول:

«ماتا؟ كل منهما وجد ميتاً؟»

«نعم بكل أسف».

واستدارت بعيداً حتى لا يرى التأثير المدمّر لكلماته عليها. فهي لن تسمح له أو لأي شخص آخر، أن يتغلغل الى عالمها الخاص المقفر. ان أفراد عائلة أرتشر ظلّوا دائماً متمسكين بكبريائهم، وهذا ما تبقى لها الآن... كبرياؤها وفراغ مؤلم في داخلها. قالت بصوت عال:

«كان يجب ألاّ يسير وراءها. لماذا لم يتركها لحالها؟»

«لقد كانت زوجته وله كل الحق في إعادتها اليه.»

استعانت تشاريتي بغضبها وصاحت:

«إنني لا أصدقك. كانت فيث تخاف منه، وكتبت إلي تقول ذلك».

جاء رفضه حاداً كالسكين في خضم بؤسها ليصيبها بالذعر. وقالت:

«لقد كانت تريد الانفصال عنه».

كلامها معه جعل رفضه يزداد قوّة. فبحثت عن سلاح أخر لتشهره

في وجهه، وتثبت له أن جزءاً ما من أختها يعيش داخلها، وأن الانكماش لم يصبها على الاطلاق من جزاء سماعها نبأ موت أختها، وسألت بحدّة:

«أين الطفل؟ سوف أعود به الى انكلترا».

«للأسف لا يمكنك ذلك إن ألكسندروس مسؤوليتي، فهو ابن شقيقي وسيكبر بهذه الصفة».

«أوه، كلا».

قالتها تشاريتي وهي تضم قبضتيها، استعداداً للدخول في معركة، فالقتال دفاعاً عن قضية أختها أفضل كثيراً من الدموع، فهي لا تريد لهذا الرجل الذي يبدو شبيهاً بأبوللو، أن يعلم كم هي وحيدة ومحرومة. قال ببرود:

«لست على استعداد للنقاش معك في هذه المسألة. لقد تقرر الأمر بالفعل».

لم يكن من عادة تشاريتي أن تفقد أعصابها، ولكن عندما يحدث ذلك فأنها تفقدها تماماً، والآن حان الوقت لتتخلّص من عقدة العذاب التي تربض داخلها، حملقت فيه بغضب وهي تميل بذقنها الى الأمام لتظهر مدى إصرارها:

«إذاً يمكنك أن تلغي القرار. إنه ابن أختي وهي ترغب أن يشب في انكلترا. وأنا عازمة على تنفيذ ذلك تماماً. أين هو؟ أريد أن أراه الآن، وفي الحال».

«هذا مستحيل».

«مستحيل لأنك أنت أردت أن تجعله مستحيلاً! إنّ معي رسالة أختي وأنا مصرّة على التصرف وفقاً لتعليماتها ـ واذا حاولت أن تمنعني ستدفع ثمناً باهظاً».

عندئذ ألقى اليها بنظرة ثاقبة قائلاً:

«هل تهدّدينني؟»

«نعم أهددك».

«فهمت. ولكنني أعتقد أنك تعلمين أنك لا تقفين على أرض صلبة».

«إنني أمتّ له بصلة القرابة عن طريق الدم، وفي استطاعتي اثبات رغبة أختي في حصولي على الطفل!»

لم يقلل كلامه من غضبها وقال:

«ماذا يفيدك ذلك؟ والده كان يريد العكس والطفل يوناني».

ابتلعت ارتباكها المتزايد وقالت:

«ولكن فيث أمه. سوف أذهب الى المحكمة اذا صممّت على التمسك به!»

أزعجها صمته أكثر من أي شيء آخر كان يمكن أن يتفوه به، ونظر اليها نظرة لاهية، وهو أبعد ما يكون عن التفكير في غضبها واثقاً كل الثقة من نفسه. قالت مجازفة:

«هل تظنّ أنّ ذلك سيفيدك في شيء؟»

هزّ رأسه قائلاً:

«الولد يوناني. ورغبة والده يجب أن تتحقق حتى في المحاكم، وحتى في انكلترا على ما أعتقد. اختك كانت زوجة نيكوس، امرأة بيته، ولكن لم يكن لها أيّ حق في أن تأخذ الطفل بعيداً عن أبيه.»

امرأة بيته يا له من تعبير يقال عن فيث، التي ظلّت دائماً تتميز باعتزازها وحريّتها واستقلالها عن الآخرين. ليس من المستغرب الآن كيف وصلت الى أن تكره اليونان.

«ولكن ماذا عليّ أن أفعل الآن؟ لقد أوصتني فيث أن أفعل شيئاً».

وقف لوكوس باباندريوس قائلاً:

«من الصعب عليك الآن أن تفعلي أي شيء. من الأفضل لك أيضاً أن يعيش الطفل معي، من أن تبدأي زواجك ومعك طفل أختك».

تحسست تشاريتي رسالة فيث في جيبها. لا بد أن هناك شيئاً ما يمكن عمله! لو أنها تمكنت من رؤية الطفل. ربما اعطاها ذلك نوعاً من الالهام. يجب ألاّ تيأس من أخذ الطفل والعودة به الى انكلترا. ولكن كلا. لا يمكنها أن تفعل ذلك. ربما كانت عائلته اليونانية مغرمة به أيضاً. قالت بصوت عال:

«إنني ارغب في رؤيته».

« ألكسندروس؟»

«بالطبع لم يكن يناديه بألكسندر إلاّ فيث فقط وسوف أفعل ذلك أنا أيضاً».

هز كتفيه قائلاً:

«كما تشائين. إنه ما زال صغيراً ولن يثير هذا ارتباكه. لكن هناك نصيحة أود أن أبديها يا تشاريتي. إذا أخذتك لتري والديّ ولتري الطفل في أراخوفا. لا تحاولي التدخل في أشياء لا شأن لك بها. لقد تسببت أختك في جراح عميقة لوالديّ فيكفيها أن يعلما أنك أخت فيث».

نظرت تشاريتي بعينين مذعورتين. وذهب عنها الغضب ليحل محله قلق مزعج. بأن هناك أشياء أخرى عن فيث لا تعلم عنها شيئاً. حتى لو كان أقرباء زوجها متحاملين عليها. فلا يمكن أن تتصور أن يدينها هذا الرجل بشكل مطلق.

«كانت فيث انسانة رقيقة».

نظر اليها من أعلى الى أسفل بوقاحة. ما كانت لتتحملها من رجل انكليزي ثم قال:

«انك لا تشبهينها كثيراً».

لم يكن أحد يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة. كانت فيث لها قامة فارعة وكأن جسمها نسج على منوال جسد هوب البديع وشعرها

يصطبغ بلون النحاس البني وعيناها خضراوان. أما تشاريتي فكانت مختلفة. لم تكن تتميز بالقوام الفارع أو بأي شيء آخر سوى شعرها الذي يميل الى لون الظلال البنفسجية للون الأحمر. ردت عليه قائلة:

«وأنت هل تشبه نيكوس؟»

فاجأها بضحكة، ثم قال:

«كلا على الاطلاق. بينما أنت لأول نظرة تشبهين أختك الى حد ما. وان كنت تختلفين عنها في أسلوب حياتك».

«أشكرك كثيراً».

تمتم قائلاً:

«لقد كانت هذه مجاملة».

«إذاً فهي مجاملة خبيثة! لقد كانت فيث...»

تساءلت ماذا كانت فيث؟ في الحقيقة لا تتذكر الكثير عنها. لقد أمضت فترة المراهقة. تحاول اجتذاب الشباب اليها بسهولة شديدة. الأمر الذي كان يضايق أختها هوب. ويجعلها تبدو أقل جاذبية. كانت شديدة الأنانية في كل شيء. واذا أرادت شيئاً لا يوجد أي سبب يمنعها من الحصول عليه. وحثها لوكوس على الكلام قائلاً:

«كانت ماذا؟»

«كانت فيث رائعة».

قالت ذلك وهي تشعر أن حاسها بدأ يتحول الى نوع من التشكك. واستطردت قائلة:

«كان حاسها للحياة كبيراً. ولها طريقتها لتكون محور الأحداث. وجعل كل انسان قريب منها يستمتع بالحياة».

«أتفق معك في أنها كانت كذلك. وهل شعرت بمتعة أكثر وهي بالقرب منك؟»

طرح السؤال وبريق عينيه يطالبها بالصدق. فتهربت قائلة:
«يبدو أنك لم تكن تحبها».
«كلا لم أحبها».
لقد أدهشها ردّه. وأدهشها أكثر أنه كان قادراً على أن يصرّح بذلك. فالانسان لا يتحدث بمثل هذه الطريقة عن الموتى... وابتلعت دموعها فهي لا تصدّق أن فيث ماتت. يا للمسكينة! هل كانت تخشى الموت، كما كانت تخشى نيكوس؟
لم يحاول لوكوس أن يسرّي عنها، بل ظل ينظر اليها ويعدّل من وضعه قليلاً حتى يتمكن من رؤية آخر شعاع للشمس، وقال:
«يجب أن نذهب الآن، هذا المكان يغلق أبوابه مع غروب الشمس، سأعود بك الى فندقك!...»
«أرجوك لا تفعل، يمكنني العودة بمفردي».
«اذا سرت في شوارع أثينا بمفردك اثناء الليل، فان ذلك سيفسرّ بطريقة لا تعجبك. أين تقيمين؟»
أفضت له على مضض باسم الفندق، ولاحظت الاستياء الذي بدا عليه عندما عرف ذلك.
«أستطيع أن أستقلّ تاكسي. لن يفسرّ ذلك بطريقة خاطئة».
«قلت لك سأصحبك يا آنسة آرتشر. لا غبار على الفندق كمكان للنوم، ولكن طعامه غير مناسب. سأعود اليك فيما بعد لنتناول العشاء معاً. وسنرتب أمر اصطحابك الى أراخوفا لرؤية الطفل. أعتقد أنك ترغبين أيضاً في مشاهدة دلفي. وسيكون من المناسب أن تصحبيني. فسآخذ ألكسندروس الى والديّ، وهو طريق طويل بالنسبة لطفل صغير حتى لو كانت معه مربيته، وأعطيك هذه الفرصة للتعرف جيداً على الطفل، أليس هذا ما تريدينه؟»
ابتسمت تشاريتي بالرغم منها وقالت:

«اعتقد أن الطفل لا يطيق السيارات».
«لقد قيل لي ذلك بالفعل. هل ستأتين؟»
«نعم سأتي. ولكن هناك سؤالاً. أليست دلفي بعيدة عن أثينا. لماذا يعيش ألكسندر هناك؟ كنت أعتقد أن فيث تعيش في أثينا؟»
«كانا يعيشان هناك في وقت ما».
«في وقت ما؟»
قال لها مفسراً على مضض:
«كان ذلك قبل أن يصبح نيكوس مغرماً بالمسرح الاغريقي. لقد قرر نيكوس أن يقوم بانتاج مسرحية إغريقية في مسرح دلفي بعد مشاهدته لواحدة منها، أخرجتها إحدى الأمريكيات المغرمات بالمسرح الاغريقي. ولذلك استأجر بيتاً في أراخوفا، وهي قرية قريبة من دلفي وذهب ليعيش هناك. كان يخطط لموسم درامي كبير في العام القادم، والآن ذهبت كل خططه معه الى القبر.»
وصاحت تشاريتي بدهشة:
«يا للعار».
وابتسم لوكوس بمرارة قائلاً:
«لقد كانت فيث تعارض فكرة تخلّيه عن حياته كرجل أعمال، من أجل تحقيق حلم، ولولا الطفل لرفضت الذهاب معه، ولكنها كانت تخشى أن يتركها بمفردها في أثينا. فلم تكن تتكلم اليونانية».
«ولكن كان معها والدا نيكوس».
«إنهما يتحدثان الانكليزية قليلاً. لقد طعنا في السن وليس هناك ما يدعوهما لتعلّم أشياء جديدة. ولم يكن نيكوس ليسمح لفيث بأن تعكّر صفو السلام الذي كانا يعيشان فيه».
وأضاف وهو يتنهد:
«ولكن يبدو أنها نجحت في ذلك رغماً عنه. فوجود طفل في البيت أمر

غير مرغوب فيه، عندما يصل الانسان الى مرحلة معينة من العمر».

«ربما من الأفضل لك أن تعطيني الطفل؟»

هزّ رأسه بالنفي. ومع ذلك ابتسم لها وأخذها من ذراعها بثقة الى خارج الميدان حيث كانت تقف سيارته. فتح لها باب السيارة، واستدار نحو الباب الآخر متوقفاً قليلاً ليشعل سيكارة. وعندما أضاء عود الثقاب ملامحه، تذكرت تشاريتي الكتاب، وطاف بخاطرها سؤال: لماذا لم يعده اليها على الفور. ثم تذكرت أبوللو وقالت له:

«أريد أن أعرف أيّ انسان كان أبوللو».

فأجاب على الفور في شيء من الازدراء:

«لن تعرفي الكثير عنه من خلال هذا الكتاب. فالرموز القديمة لا تكشف عن أنفسها بهذه السهولة».

وبدأ في ادارة محرّك السيارة وقال ملتفتاً اليها:

«لعلّك تأملين أن تعرفي المزيد عني؟»

وأعطاها الكتاب قائلاً في ثقة:

«ستكتشفين المزيد عن كلينا غداً في دلفي. وأنا سأساعدك على ذلك».

دقّ قلب تشاريتي في عنف. ولكنها أوحت لنفسها أن ليس هناك ما تخشاه من لوكوس باباندريوس، وما من سر قريب يمكن أن يكتشفه، أما هو فعليه أن يكشف لها الكثير قبل أن تقتنع. لقد التمست منها فيث المساعدة، وبطريقة أو بأخرى سوف تسوّي أمور أختها مع عائلة زوجها. سألته:

«هل سأعرف المزيد عن نيكوس أيضاً؟»

«لقد كان من السهل فهم نيكوس. واذا كنت تعتقدين انني أشبه أبوللو، فان نيكوس بالتأكيد كان يشبه ديونيسيوس».

«ان ديونيسيوس يتمتع بسمعة سيئة بالنسبة إليّ. فهو يشبه باخوس الرمز الروماني أليس كذلك؟»

«ان رموز اليونان ليست قساة كرموز الرومان. تشاريتي، هل تحضرين معك رسالة اختك الليلة. إنني أرغب قراءتها، هناك أشياء لا يعرف أي منا عنها شيئاً، ولكن لا يوجد ما يدعو الى أن نكون أعداء».

جلست تشاريتي تفكر في هذا الأمر. كانت تعتزم في البداية أن تسلّم الرسالة ولكنها كانت تعلم أنّ فيث لم تثق في أي شخص من عائلة باباندريوس. قالت في النهاية:

«سأفكر في الأمر».

خرجت مسرعة من السيارة شاكرة له توصيلها الى الفندق.

«سأعود اليك في الساعة الثامنة والنصف، إذا لم يكن هذا الموعد مبكّراً بالنسبة إليك».

وافقت وأسرعت مبتعدة عنه الى داخل الفندق.

كانت حجرتها في الفندق مظلمة كئيبة. اضاءت أنوارها الخافتة، وألقت بنفسها على السرير وهي تشعر فجأة بالارهاق من وطأة المشاعر التي مرت بها في هذا اليوم.

وبدأت تفكر، أوه يا فيث لماذا تموتين في ريعان الشباب؟ وغطت وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء.

٢ ـ لا حزن بعد الآن

بذلت تشاريتي ما في وسعها لتزيل آثار البكاء، وضعت وجهها في ماء بارد، حاولت التفكير في أشياء مبهجة ومع ذلك ظلّت تبدو في حالة سيئة.

جلست طويلاً على حافة سريرها تفكر فيما ستفعله، ستبعث بمذكرة الى موظف الاستقبال تقول فيها إنها ليست على ما يرام. ولكنها ليست متأكدة من أن لوكوس باباندريوس لن يصعد ليطمئن عليها. الواقع أن فكرة الخروج معه لتناول العشاء لم ترق لها. فلم تكن على استعداد لمواجهته. كانت تريد أن تصل الى قرار أولاً. ولكن كيف يمكنها ذلك وكل ما تستطيع أن تفكر فيه، هو تلك اللحظة الرهيبة، التي سقطت فيها فيث من قمة الصخرة العاتية في نهاية الطريق لتلقى مصرعها.

في الثامنة والنصف نزلت من غرفتها، وشغلت نفسها بالتطلّع حولها في الفندق وزواره، لذا لم تر لوكوس باباندريوس وهو يدخل الى الفندق. قال باليونانية:

«مساء الخير يا تشاريتي».

استدارت اليه مجفلة، ناسية للحظة قرارها بأن تظل جالسة في المكان المظلم نسبياً.

«مساء الخير».

لقد استبدل ملابسه، وارتدى ملابس السهرة. وأصبح الشبه بينه

وبين أبوللو أكثر وضوحاً الآن.

أردفت قائلة:

«أعتقد أنه يجب عليك أن تناديني آنسة آرتشر. لأننا ـ مهما يكن من أمر ـ لا يعرف أحدنا الآخر جيداً».

رفع حاجبيه في دهشة وقال:

«قلت لك اسمي، واعطيتك حرّية مناداتي به. إن آرتشر إسم عسكري لا يناسبك. وفي أي حال أعتقد أن شخصاً بأسم آرتشر لا يقضي ليلته باكياً. فيث لم تكن لتفعل ذلك، لماذا اذاً تبكين من أجلها؟»

«انها أختي، وأنا أحبها».

«بالطبع هي أختك، ومن المناسب أن تحزني لوفاتها، فليكن حزنك على الفتاة التي كانت فيث، وليس على المرأة كما أصبحت ولم تعرفيها جيداً... هل نذهب الآن؟»

قالت تشاريتي مترددة:

«من الأفضل لي أن أعود الى غرفتي. قد أشرع في البكاء مرّة أخرى ولا أريد أن أسبب لك حرجاً».

قال بثقة:

«كلا. لن تبكي بعد الآن! سنستمتع ونبتهج ولن نفكر إلاّ في المستقبل».

وتسللت ابتسامة الى عينيه واضاف:

«قد تكون هذه آخر عطلة لك بمفردك قبل أن تتزوجي. هل فكّرت في ذلك؟ سأبذل ما في وسعي لأجعلك ترين كل ما ستفتقدين لرؤيته فيما بعد!»

ألقت اليه تشاريتي بنظرة دهشة وبدأت تقول:

«ولكن...»

قاطعها سائلاً:

«كم يطول بقاؤك في أثينا؟»

«لا أعرف، حتى عيد الميلاد على الأقل. ولكنني لا أدري اذا كنت سأبقى الآن».

وضع لوكوس معطفها حول كتفيها ورافقها الى الخارج، بعيداً عن الجو الحار داخل الفندق الى الليل البارد.

«لماذا لا تطلبين من صديقك الشاب، أن يأتي لقضاء عيد الميلاد معك هنا؟»

كولين هنا؟ اهتزت من مجرد الفكرة..ربما يكون جميلاً أن يصحبها احد لرؤية المناظر الممتعة، ولكنها شعرت أن ذلك ينطوي على نوع من الالتزام تجاهه، بينما هي الآن أبعد ما تكون عن الشعور بهذا الالتزام فردّت بشرود:

«لا أعرف».

وضعها في السيارة وعيناه اللامعتان تنظران في عينيها. ثم قال لها متحدياً:

«هل لأنك غير متأكدة؟ أم تعتقدين أنه سيمكنك اصطحاب الكسندروس معك الى انكلترا؟»

القت بنظرها الى اللوحة في مقدمة السيارة. وقالت باصرار:

«أعتقد أن هذا ليس من شأنك!»

«ولكنني مصرّ أن أعرف بأنك لن تأخذي ألكسندروس، يا آنسة أرتشر، ستشعرين بسعادة أكثر اذا واجهت هذه الحقيقة».

«اذاً سأطلب من كولين أن يحضر الى أثينا. ولكن تذكرة الطائرة باهظة الثمن، ولا أعرف وضعه المالي الآن».

«يسرني أن أرى صديقك الشاب هذا، سأدعوكما الى منزلي في يوم ما خلال العطلة».

عجزت تشاريتي عن الكلام للحظة. هل يعتزم حقاً أن يتفحص صديقها بدقة؟ واذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟ إنها لا تعني شيئاً بالنسبة إليه. وقد ظلّت دائماً تتخذ قراراتها بنفسها منذ سنوات لا تحصى.

«ألا تتوقف عن الاهتمام بما لا يعنيك؟»

ولكن لوكوس لم يجب الاّ بضحكة فقط ثم قال لها مغيظاً:

«أهو شخص غير محتمل الى هذا الحد؟»

«بالطبع لا».

قالتها ببعض الحماس.

«اذاً لماذا تعترضين؟»

حاولت البحث عن كلمات تقولها له، لا يسيء فهمها، وهي أنها تتولى بنفسها شؤون حياتها، ولن تطلب منه أن يخبرها ماذا تفعل مهما كانت نواياه. لكن كل ما استطاعت قوله:

«إنني أعرف كولين منذ سنوات، وأعرفه كما أعرف أي انسان آخر».

«بالطبع، ولكن يا آنسة تشاريتي، أنت امرأة ولا يمكنك أن تريه بالطريقة نفسها كرجل. يجب ان تسمحي لي أن أقوم بواجبي. إن بيننا رابطة زواج أختك من أخي، ومن المناسب أن أضمن أن يكون هذا الكولين مناسباً لك كزوج، عليك أن تخبريني بكل شيء عنه ونحن نتناول الطعام.»

لم تكن لدى تشاريتي أية نية لتفعل ذلك، وتحوّلت بنظرها تشاهد الأنوار التي تزين شوارع أثينا. كان عجيباً ـ في نظرها ـ أن ترى أثينا وكأنها وضعت في غير مكانها، فقد بدت كمدينة المانية حديثة، وليس بها شيء من تلك الروعة الأغريقية، التي قذفت بها الى مخيلتها صور البارثينون وغيرها من الأطلال.

قالت وقد نسيت غضبها من رفيقها:

«أنها لا تبدو كمدينة أغريقية».

«ربما لأن المهندسين البافاريين هم الذين وضعوا أساسها».

ردّت في سخرية:

«هل سيكون مسموحاً لي أن أخرج مع كولين وحدنا».

«ان ذلك يتوقف».

ردّت بسرعة:

«على ماذا؟»

ألقى اليها بواحدة من نظراته اللامعة:

«يتوقف على من هو هذا الكولين من ناحية. وعلى من هي أنت من ناحية أخرى».

لمس يدها في لحظة اتصال خاطفة وقال:

«كان يجب على فيث أن تصرّ على حضورك الى اليونان، بمجرد وفاة والدك. لم يكن من الصواب تركك بمفردك، بدون أن يكون هناك من يحميك. أين كنت تعيشين؟»

عضّت تشاريتي شفتها وقالت:

«في منزل أبي».

«الذي هو الآن منزلك؟»

«كلا. ليس تماماً. انه ملك لثلاثتنا».

«اذن لن تقيمي فيه عندما تتزوجين؟»

«لم أفكر في ذلك. أمل ألا أعيش فيه، فهو مكان واسع ومقبض وغرفه السفلى مظلمة للغاية، أما الدور العلوي ففيه العديد من غرف النوم الباردة».

«ولكن قد يفضل كولين أن يعيش فيه؟»

استاءت تشاريتي من أصرار لوكوس. ماذا يعنيه من المكان الذي يفضّل كولين أن يعيش فيه؟ تمتمت قائلة:

«لا أعتقد ذلك».

وأوقف السيارة بمهارة في الميدان القريب من برج الرياح واستدار نحو الجانب الأخر منها ليفتح لها الباب. وعندما همّت بالنزول وضع يده تحت ذقنها، ورفع وجهها ليقابل شعاع النور الساقط من المصباح فوقهما، وقال في رقة:

«لا دموع بعد الآن. ولا حزن هذه الليلة على الأقل. تعاهدنا؟»

ابتسمت بضعف وقالت موافقة:

«لا دموع بعد الآن. بكيت لأجل هذه الأشياء من قبل».

«هكذا؟ أنت أيضاً مثقفة ويمكنك القاء مقتطفات من مسرحياتنا الاغريقية؟ هل يمكنك معرفة مؤلف هذه المسرحية؟»

كانت تلك مهمة صعبة، خاصة وهي تشعر بلمسته القوية تحت ذقنها وقالت على الفور:

«يوربيديس على ما أعتقد».

كانت تفضل أن يكون هناك نوع من التحفظ في الحديث بينهما خاصة وأنها تعتبره رجلاً غريباً. ولم تحدد بعد ما اذا كان صديقاً لها أو عدواً. تمنت لو تستطيع الاعتماد عليه، ولكن عندما يتعلق الأمر بفيث فأنه بلا شك يعتبر عدواً.

«رقيق منك أن تهتم بشؤوني، ولكنني ظللت لوقت طويل أعتمد على نفسي. وأفضل أن يستمرّ ذلك».

تحوّل برأسه عنها، غير عابىء بما قالته وقال في احتقار:

«ما من امرأة تفضّل ذلك».

«ولكن أنا أفضّل ذلك».

هزّ كتفيه وقال:

«ليس لوقت طويل».

ومدّ اليها يده وقال:

«تعالي يا تشاريتي. لابد أنك جائعة، وهناك العديد من الأشياء التي

www.elromancia.com

يجب بحثها قبل أن نتوجه الى أراخوفا ودلفي في الصباح».

أسرعت خلفه وسألت:

«ماذا؟»

«أولاً... ما زلت أرغب في قراءة رسالة أختك. هل هي معك؟»

أومأت بالايجاب.

«لوكوس. ماذا ستفعل مع الصغير ألكسندر؟ أعتقد من حقي معرفة ذلك، على الأقل قبل عودتي الى انكلترا».

تجنب للحظة نظرتها الثابتة اليه، وأحسّت أنه لا يرحب بهذا السؤال فردّ بجفاء:

«عندما أتخذ قراراً في هذا الشأن. سأبلغك بدون شك. لن أنسى أنك خالة الطفل، وسترغبين في رؤيته من وقت لآخر، عليك أن تعلمي أنني أنا الذي سأقرر مستقبله».

قالت متوسلة:

«ألن تناقش الأمر معي على الأقل؟»

«لا أجد سبباً يدعوني لذلك. اذا كان هذا الكولين هو الرجل الذي تصفينه، فقد يكون وجوده مفيداً عندما ننتهي الى قرار. هذا سبب رغبتي في أن يأتي الى هنا».

قالت محتجة:

«ولكن ليس لكولين شأن بذلك، إنه أمر يعنيني أنا بالضرورة».

توقف فجأة ونظر اليها بحدّة قائلاً:

«اعتقدت أنك تفكرين في الزواج من هذا الرجل؟»

«وماذا في ذلك؟»

«عندما يصبح زوجك، فمن الطبيعي أن يتولى هو شؤونك، فمن الافضل أن يلعب دوره من البداية».

«ولكنك لا تفهم!»

أسكتها بحركة من يده وقال:

«هذا يكفي. من الأفضل للمرأة الجميلة أن تهتم بأشياء لا تشغل بالها. وانت امرأة جميلة للغاية».

أوقفتها المفاجأة عن الكلام. كانت غاضبة للغاية لأنه يتعمد أن يكون وصياً عليها، وأن يتجاهل رأيها، لا لسبب إلاّ لكونها امرأة، ومع ذلك لم تستطع مقاومة احساسها بشعور مثير، لأنه يراها جميلة. بل جميلة للغاية كما قال.

تبعته الى داخل الكافيتيريا، حيث الأضواء والصخب وحب الحياة. أتى اليهما المضيف مبتسماً. أخذ منه لوكوس قائمة الطعام وأعطاه الطلب بسرعة. شعرت تشاريتي بالضيق لعدم استشارتها. ونظرت حولها الى الصبي الصغير الذي كان يركض من منضدة الى أخرى لاحضار الطلبات. ردّ الصبي على نظرتها بقبلة على يده أرسلها اليها في الهواء.

«يا إلهي ان عمره لا يتعدى الأثني عشر عاماً».

نظر اليها لوكوس نظرة شغف زادت من حرجها.

«الم أقل لك؟ هو أيضاً يراك جميلة».

«كان الأجدر به أن يكون الآن تلميذاً في المدرسة».

ضحك بصوت عال:

«إنّ الرجل اليوناني يعبّر عن اعجابه بالمرأة وهو ما يزال في المهد».

شعرت بأنفاسها تسرع وهي تدرك تماماً الاعجاب الذي بدا في عينيه السوداوين. ووجدت نفسها تتساءل ماذا سيكون شعورها لو وجدت نفسها بين ذراعيه. كان خاطراً مربكاً للغاية، لم يرد على ذهنها من قبل. لقد صدمها أن تفكر في رجل بهذا الشكل غير اللائق، وأن يعصف بها مثل هذا التفكير. قالت بسرعة تذكره، وهي مصممة على تغيير موضوع الحديث:

«لقد أبديت رغبتك في رؤية رسالة أختي».

وضعت الرسالة على الطاولة حتى لا تكون هناك فرصة لتلامس أصابعهما وتابعت:

«سترى كم كانت خائفة، وترغب في أن أحصل على ألكسندر».

قرأ الرسالة مع تقطيبة صغيرة بين عينيه وقال معلّقاً:

«أمر مؤسف، أهذه الرسالة الوحيدة منها، أم أنها تركت لك رسالة أخرى في الفندق؟»

أدهشها السؤال وقالت:

«كان موعدنا عند برج الرياح. وقالت ستروي لي كل شيء. اذاً ما الذي يدعوها لأن تكتب لي مرة أخرى؟ بالاضافة الى أنها كانت تكره كتابة الرسائل».

أعاد اليها الرسالة قائلاً:

«لابد أنها كانت تثق بك ثقة عظيمة... ولكن ليس هناك عنوان لها لتردّي عليها».

«ولكن عنوانها كان معي. أعني عنوانها في أثينا وكنت أكتب اليها عليه دائماً. لم أكن أعلم أنها تعيش في مكان آخر».

«أنني أعجب لماذا لم تخبرك أنها في أراخوفا . باعا شقتها في أثينا منذ نحو عام، ومن حسن الحظ أنني تسلمت رسالتك وقرأتها، لقد فحصت كل أوراق أخي وتعرّفت على خطك فوق المغلّف».

«ولكنني لم أراسل نيكوس ابداً!»

«كانت أختك تشاركه في مكتبه. وجميع رسائلك هناك تائهة وسط الفواتير والرسائل الأخرى المتعلقة بعمل نيكوس».

«أوه. لم أتصوّر أنه يقرأ رسائلي».

«ولم لا؟ إنه زوج فيث».

«أعتقد أنك قرأت رسائلي ايضاً. لم تكن غلطتي أنها لم تحتو على

الكثير من المعلومات، فان فيث لم تكن تبلغني أبداً ماذا كانت تفعل، وهكذا ترى أن هذه الرسائل كانت من طرف واحد».

«هل تصدقينني لو قلت انني لم أكن أنوي قراءة هذه الرسائل في بادىء الأمر؟ لكني أردت معرفة عنوانك لأبلغك بما حدث لأختك، ووجدت نفسي أريد معرفة المزيد عنك. كانت قراءتي لرسالتك الأخيرة مفيدة فلم تنتظري في برج الرياح الى مالا نهاية. أما بقية الرسائل فدارت حول مرض والدك والمنزل الذي تعيشين فيه. تشاريتي ألم تتح لك الفرصة طوال هذه السنوات لا قتناص نصيبك من المتعة. يبدو لي أنك أصغر من أن تتحملي مثل هذه المسؤولية، أليس لك أقرباء من الممكن أن يساعدوك».

«لي عم أعزب ولكنني لم أره منذ سنوات، في أي حال لم أكن صغيرة الى هذا الحد، بالاضافة إلى كولين».

«آه بالطبع، لقد نسيته، بلا شك هذا هو السبب، الذي جعل نيكوس لا يطير الى انكلترا لدى وفاة والدك. انني مسرور لوجود هذا الكولين ليقوم لك بجميع الترتيبات، فليس من المناسب أن تقوم امرأة بمثل هذه الأمور».

أحست تشاريتي بالدماء تتدفق في وجنتيها ولكنها لم تقل شيئاً. كيف تقول له ان كولين لم يكن موجوداً في ذلك الوقت، وحتى لو كان موجوداً فلن يخطر بباله التدخل في أمورها الخاصة. كان يمكن أن تشعر بشيء من السعادة، لو أن شخصاً آخر تولىّ عنها مسؤولية اتخاذ القرارات السريعة في ذلك الوقت. نظرت الى لوكوس الذي كان مشغولاً عنها بالتحدث الى خادم المطعم. لم يكن من طبيعتها أن تعقد المقارنات بين الناس، ولكنها وجدت صعوبة بألاّ تفكر في كولين، وكيف كان على ثقة من أنها تستطيع القيام بهذه الامور خير قيام، ليس بالنسبة لمشاكلها هي فقط، ولكن بالنسبة الى مشاكله هو أيضاً،

في حين أن لوكوس لم يأخذ رأيها فيما تريد أن تأكل ـ أو تشرب؛ كان رأيه هو السائد فيما يختص بذلك. لقد حوّل لوكوس مسار تفكيرها الحزين، الى شيء آخر استحوذ على مشاعرها. بدأ قلبها يخفق بشعور غريب، يخفق بحب لوكوس، ونظرت اليه خلسة من بين رموشها، وتعجّبت من مشاعرها. هل هذه المشاعر نتيجة لتأثير اليونان عليها، إذاً كلما اسرعت بالعودة الى الأمان في منزلها كان ذلك أفضل.

قالت شيئاً عن أبوللو أثار فيه موجة عارمة من الضحك، رجّت أنحاء الكافيتريا، وتصوّرت أن الموجودين سينظرون اليهما في دهشة، ولكنّ أحداً غيرها لم يلاحظ شيئاً غير عادي في انسان يحاول ان يقضي وقتاً سعيداً وعلّق لوكوس على قولها:

«يا فتاتي العزيزة، أؤكد لك أنني لست أبوللو مهما كنت تعتقدين أنني أشبهه. أنا لوكوس باباندريوس؛ ألا يكفيك ذلك؟»

لقد ضايقتها هذه الجملة التي تنم عن صلف أنا لوكوس باباندريوس! وحاولت أن تتخيل نفسها تعلن، أنها تشاريتي أرتشر بنغمة الصوت نفسها، وازعجها هذا الخاطر فلم تكن واثقة أنها شخص يمكن أن يشار اليه بالبنان وحسدته على هذه الثقة بالنفس. قال:

«سآخذك لتقومي برحلتك إلى هيكل أبوللو غداً فهل ستنتظرينني في أثينا حتى أعود اليك بالطفل لتريه؟»

«لقد وعدتني أن اذهب معك».

كانت تتوق الرؤية دلفي، ليس لأن اختها عاشت هناك، ولكن لترى ذلك المكان الذي ظلّ الناس يرتادونه منذ خمسة آلاف عام. قال لها وهو يمدّ يده تعتصر أصابعها في قبضته القوية:

«اذاً ستذهبين الى هناك. وأمل ألاّ يكون ذلك مخيباً لآمالك».

شعرت تشاريتي بأنها مرهقة للغاية من ضوضاء الكافيتريا عندما أخذها ليعود بها الى الفندق. لقد عرفت الكثير عن اليونانيين

في ليلة واحدة، أنهم لا ينامون ويحبون الحياة مما يجعلها تحب مشاركتهم هذا الحب.

وعرفت ايضاً شيئاً عن لوكوس باباندريوس. أبلغها بأنه رجل أعمال على صلة بالسفن والزيتون، ولكن لم يكن ذلك ما يثير اهتمامها. واكتشف شيئاً عن نفسها ايضاً، وهذا ما كانت تحسب أن تعطيه مزيداً من التفكير. انه أمر يتعلّق بالصبي خادم المطعم الذي ـ إذا صدق لوكوس ـ شبّه شعرها الأحمر بأشعة الشمس. كانت تريد أن تعيد التفكير أيضاً في الطريقة التي كان لوكوس ينظر بها اليها ويرقص معها، وكيف قبّل يدها عندما افترقا. أضاف ذلك الى الاحساس الغريب الذي كانت تشعر به لأول مرة، احساساً بأنوثتها أسعدها.

كولين، الذي ظنّت أنها تحبه، لم يعطها الاحساس بأنها امرأة. ولكن هذه الليلة تغيّر كل شيء، برغم دموعها وحزنها على وفاة أختها، الاّ أنها أمسكت بومضة من ومضات الحياة، ولن يكون هناك مكان للحزن بعد الآن.

غداً، سيكون مجال للتفكير في فيث وابنها، اذا كانت ستضع ثقتها في لوكوس، ولكن هذه الليلة بالذات فلن تفكر إلا في أحلام تداعبها، وسعادة بالحياة كما يفعل لوكوس. نظرت في المرآة وأدهشها أنه لم يكن على وجهها أثر للدموع التي ذرفتها، كانت عيناها تشعان بريقاً مثل بريق عينيه عندما يضحك على بعض النكات. أطفأت النور وجذبت الغطاء، وقررت أن تضع خطة صارمة قبل أن ترى لوكوس مرة أخرى. لكنها نامت لحظة وضعت رأسها على الوسادة.

٣ ـ المرأة المجهولة

نظرت تشاريتي إلى الأطلال الأثرية في دلفي، والى المسرح الاغريقي، الى الأعمدة الست المتبقية من هيكل أبوللو، والطريق الذي اصطفت على جانبيه الكنوز المختلفة التي تمثل جميع أنحاء اليونان.

أوقف لوكوس السيارة على جانب الطريق ليسمح لها بالتمعن في الآثار وأخذ في شرح الأساطير اليونانية المرتبطة بها.

ثم عادا الى السيارة وقادها لوكوس حتى وصلا الى قاعدة الهيكل حيث أوقفها. وأسرعت تشاريتي صاعدة الدرج قبله. كانت تتحرّق شوقاً للسير في الطريق القديم المتعرّج المؤدي الى أعلى الهيكل.

قال لها لوكوس:

«سيفوتك الكثير اذا أسرعت بهذا الشكل. يجب عليك أولاً مشاهدة الكنوز على جانبي الطريق».

أطاعته تشاريتي وسارا جنباً الى جنب، وهو يشرح كل شيء يقع عليه نظرهما. وظلت تتحرك بخفة صعوداً ونزولاً في المستويات المختلفة للهيكل.

جلست تشاريتي على حافة الهيكل.. شعرت بمزيد من الراحة تجاه موت أختها. فقد ظلّت طوال الطريق من أثينا، يتسلّط عليها شعور بأنهما قد يمران، في البقعة نفسها حيث لقيت فيث حتفها.

وظل لوكوس طوال الطريق صامتاً تقريباً.

سألت تشاريتي لوكوس:

«هل كان الحادث بالقرب من هذا المكان؟»

أومأ لوكوس بالأيجاب، ولكنه لم يحدد لها بالضبط موقعه. وفكّرت في رسالة أختها، وسبب مجيئها إلى اليونان. كانت حياتها موزعة بين أفراد عائلتها، تلتقط قطعاً متناثرة من اعمارهم، لم تكن لها حياة خاصة بالمعنى الحقيقي. وكم رغبت في أن تكون هي نفسها، وان تسير في الطريق الذي تريده، حتى تستطيع هي أيضاً أن ترفع رأسها عالياً قائلة في تصميم: أنا تشاريتي آرتشر، هل هذا بالشيء الكثير الآن، بعد أن مات أبوها وإحدى شقيقاتها ولم يبق لها سوى هوب، التي لم تكن في حاجة اليها.

نظرت تشاريتي الى أعلى ووجدت لوكوس ينظر اليها قائلاً:

«تعالي لالقاء نظرة على المسرح».

أمسك بيدها وهما يصعدان المسافة القصيرة الى المسرح:

«من المؤسف ألا تدبّ الحياة في هذا المسرح، طوال الصيف المقبل كما اراد نيكوس. أنه مكان لا مثيل له. أليس كذلك؟»

كان عليها الاعتراف أنه كذلك بالفعل. لقد بدا صغيراً عند النظر اليه من أسفل. وضم ثلاثة وثلاثين صفاً من المقاعد، ترتفع على شكل نصف دائرة حول المسرح في أسفله. أسرعت تشاريتي تصعد الدرجات في خفة وجلست بالقرب من القمة.

كانت الشمس قد احتجبت عند عودتهما الى السيارة. وبدأ المطر يهطل ببطء على الوادي.

قال لوكوس:

«لا تقلقي. سنعود مرة أخرى بعد الغداء لالقاء نظرة سريعة على

المتحف. قرية دلفي تقع عند المنعطف، ولكن علينا العودة الى أراخوفا».

أسندت رأسها على جانب المقعد ونظرت اليه قائلة:

«أشكرك على اصطحابي الى هنا. لن أنس لك ذلك أبداً».

كان الطريق متعرجاً حول الجبال، ومرتفعاً بحدّة نحو القمة حيث قرية أراخوفا. كانت منازلها مقامة على المنحدرات، بحيث يقع سقف المنزل في نفس مستوى الدور الأرضي للمنزل الذي يليه. وعند وصولها أراخوفا تحوّل المطر الى سيول.

أوقف لوكوس السيارة في مكان مناسب قائلاً:

«علينا أن نذهب سيراً على الأقدام».

أمسكها لوكوس من ذراعها، واندفع بها صاعداً إحدى حارات البلدة، منبهاً إيّاها أن تأخذ حذرها لئلاّ تتعثر في الماشية والدجاج المتجولة بحرّية. عند وصولهما الى القمة وهما يلهثان، قال لوكوس:

«كان نيكوس يحب هذا المنظر».

قالت تشاريتي لنفسها: أستطيع أن أفهم هذا، ولكنها لم تستطع مقاومة نفسها من التعجب كيف كانت فيث تتصرّف، وهي تحمل مشترياتها صاعدة الى ذلك التل، أو هابطة منه الى بداية الطريق.

سألت تشاريتي:

«هل هذا هو المنزل؟»

لا تستطيع التصديق. كان الدور الارضي يستعمل كأسطبل وليس به سوى حمار واحد.

لم يهتم لوكوس بالأجابة. وسبقها الى درج حجري يؤدّي الى غرفة الجلوس في الطابق العلوي وهو ينادي باليونانية. أطلّت امرأة عجوز ظهر على وجهها علامات الشك والعداء، سرعان ما تلاشت عندما تبيّنت من القادم.

«لوكوس، هذا أنت! حسبتك شخصاً آخر».

«هل تودّين رؤية الطفل أولاً أم ترغبين في تناول الطعام؟»

«أرغب في رؤية ألكسندر».

كلّم المرأة العجوز التي ابتسمت فجأة لتظهر مجموعة من الاسنان السوداء غير المستوية. قال لوكوس بجفاء:

«المرأة هي مربية ألكسندروس وهي ترعى الطفل والبيت. انها من نساء القرية وجديرة بالثقة».

هزّت تشاريتي رأسها تحيّة للمرأة، وانتظرت بلهفة وهي تراها تذهب الى غرفة النوم لتأتي حاملة الطفل على ذراعيها. كان نائماً، ولكنه فتح عينه عندما مدّت تشاريتي ذراعيها لتتلقاه، وتثاءب في وجهها. كان متدثراً في دفء، تشع منه رائحة الحليب وبودرة الأطفال، جعل الدموع تملأ عينيها عندما نظرت اليه، بكت بسبب شعره الأحمر الذي يشبه لون شعرها وأهدابه البرونزية التي تحرس عينيه الواسعتين، نظرت الى لوكوس في شيء من الاتهام وقالت في تعجّب:

«أنه يشبه آل أرتشر في كل جزء منه».

قال فجأة مذكراً أباها:

«ولكن اسمه باباندريوس. سأكون شاكراً لك لو تذكرت ذلك جيداً».

«لا أعتقد أنك ستسمح لي بنسيانه. ولكن لا يمكنك تغيير ملامحه أنه يشبه فيث تماماً أليس كذلك؟»

جلد ونظر الى الطفل من فوق كتفيها وقال:

«ليس بالضرورة. أما اذا كان لابدّ فأنني أقول أنه يشبهك أنت أكثر. فلم يكن لفيث نصارة بشرتك».

رمقته بنظرة خجولة ووددت لو أنها لم تفعل. لأن تعبير الرضى الذي ملأ وجهه أثار التوتر، مما جعلها تتساءل فجأة ماذا سيكون شعورها لو أحنت برأسها يلامس وجهها. حاولت وقف إتجاه تفكيرها، وشعرت أن

يديها ترتعشان مما أيقظ الطفل الذي بدا عليه أنه يفكر في البكاء، هزّته برفق وهي تخفي وجهها في وشاحة وكلّمته بالانكليزية في رقّة. قال لوكوس في لهجة آمرة:

«تعالي، لقد حان وقت الغداء يستطيع الطفل أن ينتظر».

«كم هو طفل حبيب، أنني أرغب، أعرف أنه ينتمي الى باباندريوس أيضاً، ولكنني أتمنى لو كان لي».

رفع لوكوس حاجبيه في دهشة وقال:

«سيكون لك أطفالك أنت، وقد يختلف شعورك نحوه».

«أبداً».

كانت نظرته الساخرة كفيلة بأن تجعلها تشعر بأنها حمقاء، أعادت الطفل الى مربيته التي وضعته في مهده. جالت تشاريتي بنظرها في الغرفة، وشعرت أن أشياءها تبدو يونانية صرفة، وأن فيث لابدّ شعرت بأنها غريبة في هذا الجو. لم يكن في الغرفة شيء حديث سوى صورتين معلقتين على الحائط للعذراء والطفل، أمامها مصابيح حمراء صغيرة لم تكن مضاءة. أما بقية أثاث الغرفة فكان متواضعاً للغاية. منضدة لامعة في وسط الغرفة حولها أربعة مقاعد مصنوعة يدوياً. ومنضدة ثانية. وهو كل أثاث الغرفة، وعلى الأرض امتدّ بساط ذو لون برتقالي فاتح، بدا عليه كثرة الغسيل. وفي غرفة النوم، استطاعت تشاريتي أن تلحظ سريراً كبيراً مزدوجاً ومهد الطفل.

سألت لوكوس وهما يجلسان الى المائدة:

«ما الذي حدث لكل أشياء فيث؟»

«أخذت الكتب والأوراق الى شقتي في أثينا. أما بقية الأشياء فقد تمّ توزيعها. لو علمت بقدومك لحفظت لك ملابسها».

«ليس هذا بالأمر الهام».

«لم تكن أختك تملك شيئاً سوى زوجها لذا لم يكن ضرورياً كتابة

وصيّة أو شيء من هذا القبيل!»

ابتسمت تشاريتي وقالت:

«ما دام نيكوس تخلىّ عن أعماله التجارية لا أعتقد أنه كان يمتلك الكثير، فلو كان يملك شيئاً لما أقاما هنا، أليس كذلك؟»

عادت المرأة اليونانية الى الغرفة ووضعت على الطاولة زجاجة شراب بدأت سكبه في أكواب لا تعرف من أين جاءت بها، وهي تحثّ لوكوس على تذوقها.

قال لوكوس لتشاريتي:

«هذا الشراب تعودّنا عليه، ولكن يمكنك شرب الماء، طلبت من أفيجينيا أن تحضره لك».

شربت تشاريتي من الشراب لترضي لوكوس. في بداية الأمر لم تكن تستغ مذاقه ولكنها بدأت تتعوّد. وقالت في حرص:

«انا لا أشرب كثيراً».

ولم يعد باستطاعتها مواجهة نظرات عينيه، وأحست بالراحة حين أحضرت أفيجينيا صحناً كبيراً يتصاعد منه البخار، يحتوي على نوع من الخليط، وبدأت في توزيعه عليهما بكرم ظاهر.

كانت وجبة سعيدة، أنست تشاريتي أن فيث لم تكن تشعر بالانتماء الى هذا البيت. انه شعور غريب تسلطّ عليها لم تعرفه في حياتها من قبل، فقد عاد اليها السحر نفسه الذي أحاطها لوكوس به في الليلة السابقة. وأحسّت أنها تقترب من إكتشاف عظيم، ورحبت بهذا الشعور.

عندما إستيقظ ألكسندر وبدأ في البكاء، شعرت بالأسف لأن بكاءه أنهى الوجبة الشهية. أحضرته أفيجينيا من غرفة النوم بعد أن غيرّت له ملابسه ووضعته على ركبة تشاريتي. وسألت بعض

الاسئلة التي ترجمها لوكوس.

«انها تسأل اذا كنت تؤدين اطعامه...»

سعدت تشاريتي وقالت:

«هل يمكنني ذلك حقاً؟ إنه صغير جداً أليس كذلك؟»

«كلّ الأطفال المولودين حديثاً يبدون هكذا. إنّ عمره الآن لا يتعدّى سبعة أسابيع».

«لا أعرف كيف كانت فيث ترتاح لتركه!»

«كان الاجدر بها أن تبقى معه. ان النساء العصبيات يسببن الازعاج لغيرهن».

قالت تشاريتي محتجّة:

«لم يكن هذا قولاً طيباً منك».

«لو كانت زوجتي لعرفت كيف أتعامل معها، لن تهرب من بيتي بهذا الشكل مهما كانت تصرفاتي. كان يجب عليها البقاء مع ابن نيكوس، لا أن تهرب وتسبّب لنفسها الشقاء».

«أكيد ان نيكوس فعل شيئاً لا تطيقه!»

«كان زوجها، ولها طفل وكان يجب أن يكفيها ذلك».

«ان معظم النساء الانكليزيات يشعرن أنّ لهن حقوقاً مثل أزواجهن، ربما نيكوس أساء معاملتها لدرجة أن صبرها نفد».

«يجب على المرء أن يكون إما رجلاً أو امرأة».

يبدو أنه لم يكن هناك رد على ذلك، وهكذا شغلت تشاريتي نفسها باطعام الطفل، وهي منبهرة بالطريقة التي التهم بها حلمة الزجاجة وأخذ يرضع الحليب منها. راقبها لوكوس لفترة، ولكن يبدو أن المنظر لم يرق له لأنه ألقى بنفسه على المقعد وأخذ يدق الطاولة بأصابعه. لاحظت تشاريتي بشيء من المتعة، أن يديه نادراً ما

تظلان ساكنتين، فهو يستخدمها عندما يتحدث ليؤكد على نقطة ما، أوحتى للتعبير عن أشياء بدون اللجوء الى الكلام إطلاقاً.

وعندما يكون صامتاً، فهو يلعب دائماً في أشياء تقع بين يديه، لاعجب اذاً أن اليونانيين كانوا نحاتين قبل أن يكونوا شيئاً آخر. كان الطفل قد انتهى من رضاعة نصف الزجاجة عندما سمع نهيق الحمار معلناً وصول زائر، ونظر لوكوس عبر الغرفة تجاه الباب، لكنه لم يحاول النهوض ليستقبل القادم.

نادى أفيجينيا وأومأ لها برأسه تجاه الباب، تعثرت المرأة اليونانية وهي تسير عبر الغرفة لتفتح الباب الذي تدفقت منه رياح باردة. وصاحت مرحبة باليونانية... وردّ عليها باليونانية صوت أنثوي رقيق، وسمعت أصوات وقع الأقدام المسرعة على الدرج الحجري. تحولت تشاريتي بنظرها عن ألكسندر، وهي تتساءل ترى من تكون هذه المرأة المجهولة. دخلت المرأة مندفعة الى الغرفة وتوقفت عند المدخل لتتبادل معها النظرات. كانت ذات ملامح اغريقية أصيلة، وبنية قوية مع بعض الثقل عند كتفيها وصدرها. وعندما وقع بصرها على تشاريتي بدا عليها الارتباك بوضوح. وقالت فجأة بالانكليزية:

«أنت شقيقة فيث».

إنطلق ألكسندر في الصراخ بشكل حاد، عندما توقف الحليب في الزجاجة عن الوصول الى فمه، وكان كفيلاً باعادة تشاريتي الى الاهتمام به، ابتسمت له وأخذت تربت عليه لتهدىء من ثورته. قال لوكوس من خلال الهدوء الذي ساد الغرفة:

«أقدّم الانسة تشاريتي، الآنسة أريادني فوزاس واحدة من أشهر ممثلاتنا، وكانت ستظهر في مسرحية نيكوس».

قالت أريادني وهي تبدو عابسة:

«لقد إستأجر لي غرفة في القرية».

ونظرت الى لوكوس نظرة سريعة من بين أهدابها وأضافت:

«لم يكن لوكوس موافقاً. وسأعود الى أثينا لا رضائه، ولكنه رجل يصعب أرضاؤه. صدقيني!»

وافقت تشاريتي على كلامها. وراقبتها بانبهار وهي تعبر الغرفة وتلفّ ذراعيها حول رقبة لوكوس في حركة مسرحية قائلة له باستعطاف:

«قل انك مسرور لرؤيتي».

«لماذا تمكثين هنا؟»

«ظننت أنه ربما يقوم شخص آخر باستكمال إنتاج المسرحيات. ولكن أحداً لن يفعل. كل شيء يبدو مختلاً بدون نيكوس».

مال لوكوس للأمام ولمسها برقة فوق خدها قائلاً:

«واكثر إختلالاً... بالنسبة الى الكسندروس».

«ان له خالته».

«وانت كل شيء لك وفي انتظارك في أثينا».

قالها وهو يبتسم...

٤ ـ أنت لا تحبني

حاولت تشاريتي تجنّب نظراتها، وهي تعجب من شعورها بالغضب، ربما كانت علاقتها تسمح لها بهذه التصرفات أو كانت العائلتان متعارفتين منذ أعوام. بالاضافة الى أن أريادني كانت تعمل لصالح نيكوس، وأن ما يحدث لا علاقة له بلوكوس. ولكن ما الذي ينتظرها في أثينا؟ شقة جديدة؟ وبدأ ألكسندر يحتج، ملوحاً بقبضة صغيرة في الهواء عندما بذلت خالته ما في وسعها لتنظيف وجهه بمنديل. راقبتها أريادني وعلّقت قائلة:

«يبدو أنك تعرفين جيداً ما تفعلين!»

وافقتها تشاريتي:

«الى حدّ ما، كان لي أصدقاء لهم أطفال صغار، ولكن لم تكن لي تجربة شخصية معهم».

ابتسمت أريادني في خبث وتحوّلت الى لوكوس قائلة:

«مما يؤسف له أن أفيجينيا لن تذهب الى أثينا. ماذا ستفعل بالطفل؟ أن والدتك لن تسعد بوجوده في كيفيسيا».

«هناك دائماً أليكترا».

قالها بجفاء. ردت ضاحكة:

«آه، نعم، أليكترا لقد نسيتها. يالليمسكين ألكسندروس، أمل ألا تخنقه بحبها».

قطب لوكوس جبينه وقال مؤنباً الفتاة اليونانية:

«أنت تخيفين تشاريتي عندما تتحدثين بهذه الطريقة. أنها تريد أن تأخذ ألكسندروس لنفسها».

«ألكسندروس فقط؟»

«ليس هذا من شأنك. تشاريتي، اذا لم تنتهي من إرضاع الطفل، دعي أفيجينيا تقوم بذلك. علينا الاسراع اذا أردت رؤية المتحف. وأنا لا أرغب في تسليم الطفل الى والذي في وقت متأخر».

أخذ الطفل منها بيدين قويتين وذهب بنفسه الى غرفة النوم وأعاده الى مهده وتابعته أريادني بنجهم:

«أعتقد أنكما ذهبتما هذا الصباح لمشاهدة دلفي؟ لو علمت بعودتكما الى هناك مرة أخرى لما أتيت. أشعر بالتعاسة لرؤية هذا المسرح الرائع، وأنا أعلم بعدم تمثيلي هناك أبداً. كان لدينا خطط رائعة، نيكوس وأنا، انه عبقري بطريقته الخاصة، برغم أن أختك لم تقتنع أبداً، أو تقدر ما يحاول القيام به. كانت تريد منه أن يعود الى أثينا».

تجولت تشاريتي بنظراتها في أنحاء الغرفة وقالت:

«أنني لا أستغرب ذلك».

«هل تعنين الأثاث؟ هذا ليس مهماً لم يكن عليها المجيء الى أراخوفا».

ظهر لوكوس خارجاً من غرفة النوم، وقال شيئاً باليونانية لأريادني جعلها تلوذ بالصمت. ثم قال لوكوس بالانكليزية:

«ما دام نيكوس قد أتى الى أراخوفا فمن الطبيعي أن تحضر معه فيث. كانت امرأة بيته وزوجته يا أريادني!»

ثم دار بينهم حديث عن فيث شعرت منه تشاريتي بمدى كراهيتها لأراخوفا. ثم خرج الجميع.

أطارت الرياح العنيفة تنورة تشاريتي لتصطدم بشدة بساقيها بينما كانت تمر عبر الحارة المنحدرة، لاحظت أن أريادني تمسك بذراع لوكوس بقوة. لم تعتد تشاريتي التعلّق بذراع أحد، وشعرت بالغباء لأن الأمر لم يكن سوى أحساسها بالجسد الأنثوي عندما شاهدت إقتراب رأسيهما، وعينا أريادني لا تفارقان وجه لوكوس. ما هذا التفكير الصبياني! أنهما أصدقاء منذ وقت بعيد، في حين أنها دخيلة ووجودها غير مقبول. أذاً ماذا يهمها مما يفعلان؟

عندما وصلوا الى السيارة أبدى لوكوس حرارة وودّاً تجاهها، الأمر الذي زادها كرهاً له. وقالت لنفسها: ليحتفظ بسحره لأريادني!

وصل جمعهم الى دلفي، وكانت في نظر تشاريتي بلدة رائعة الجمال. نظر لوكوس نظرة ذات معنى الى ساعته وقال لتشاريتي:

«أمامك نصف ساعة فقط لا يمكننا الانتظار أكثر من ذلك».

«نصف ساعة؟»

وتساءلت هل سيأتي لوكوس معها، أم سيظلّ في السيارة مع أريادني، ولكنه نزل من السيارة ناصباً قامته القوية ذات البشرة الذهبية:

«هل تريدين أن آتي معك؟»

هزّت رأسها بسرعة موافقة، بالفعل كانت تريده معها. وقالت وهما يقتربان من مدخل المتحف معاً:

«هل يمكنك ذلك؟»

«كنت سأتي في أي حال. آسف لأنني أتعجّلك في أول زيارة لك. ولكنك ستعودين الى زيارته مرة أخرى».

«نعم، فسأقوم بزيارة ألكسندروس كلما تمكنت من ذلك».

«لا أعتقد أن هذا آخر عهدنا برؤيتك».

www.elromancia.com

تجوّلا في انحاء المتحف، حيث قام لوكوس بمهمة شرح أشياء معينة مما يحتويه، في حين لو أنها بمفردها لأعطت كل شيء مما تراه جزءاً من وقتها. أمسكها لوكوس من ذراعها بطريقة وديّة بينما كانا في طريقهما الى السيارة، ولم تحاول أن تتخلص منه. كانت سعيدة بهذا الاتصال وودّت لو أنه لم يترك ذراعها حتى يصلا إلى السيارة. وسألته تشاريتي وهما يهبطان درج المتحف.

«هل ستعود معنا أريادني الى أثينا؟»

«آمل ذلك. تشارتي أرجو أن تكوني لطيفة معها قدر استطاعتك، أن والديها على خلاف معها، وعودتها الى أثينا تكلّفها الكثير».

سألته تشاريتي وهي تحاول ألا تتبسّط معه في الحديث:

«أليست هي في سن يجعلها قادرة على رعاية شؤونها بنفسها؟ أعني ألم تتعدّ الواحدة والعشرين الآن؟»

ابتسم لوكوس وقال:

«مثل هذه الأمور لا تهم كثيراً في اليونان كما في انكلترا بالنسبة للمرأة. بطبيعة الحال يحب أبواها أن يحمياها بقدر استطاعتهما، هذه هي تقاليدنا!»

«ألم يرغبا في أن تقوم بالتمثيل في مسرحية نيكوس؟ إنّ الأمر كما يبدو لي، لا يشكّل أي خطورة».

«ولكن دلفي تبعد كثيراً عن أثينا».

توقف لوكوس بينما كانت يده تشدّد قبضتها على يدها. سألها:

«هل ستحسنين معاملتها؟»

«نعم، اذا كانت هذه رغبتك، سأحاول ولكنني أعتقد أنها لا تحبني كثيراً، وأنها لم تحب فيث أيضاً. لعلمك، فيث على حق تماماً.

كان يجب على نيكوس أن يعود الى أثينا مهما كان الثمن. فمن واجبه رعاية زوجته وطفله، ولا يمضي متصوراً نفسه منتج الأجيال».

«حسناً، حسناً».

«لا يهمني ما تقول. فسأظل واقفة الى جانب فيث».

«فيم يهمك ما أقول؟»

قالت في انكار:

«لا يهمني»

بينما عيناها تتسعان. والواقع أن رأيه كان يهمها، لماذا؟ لم تكن تعرف.

«كانت أختي».

«قد تكون فيث أختك، ولكنها كانت متزوجة من نيكوس، وما يدور بينهما ليس من شأنك».

«في الوقت الذي يمكنك فيه أن تجعل كل شيء من شأنك أنت أليس كذلك؟ نيكوس، فيث، ألكسندر، حتى أنا!»

ثم أخذت نفساً عميقاً باكياً وهي تشعر بأنها مجروحة تماماً وأردفت:

«حتى أريادني».

«يبدو لي أنك تتدخلين في شؤون عائلتي. إنّ كلينا سيشعر بالراحة عندما يأتي رجلك كولين هذا».

ترك ذراعها فجأة، ورماها بنظرة عميقة ساهمة. وقال:

«لا تعتمدي كثيراً على صبري معك».

«أنت أيضاً لا تحبني».

شعرت بحماقتها عندما قالت ذلك.

«ترى ماذا صدر مني؟»

ضحك فجأة وأمسك بذراعها مرة أخرى وقال:

www.elromancia.com

«أنت... أنت دائماً، وهذا يكفي تماماً».

«أنني أنا؟»

هل يعني أنه يراها شخصية لها كيانها الذاتي المستقل، وليست مجرد أخت فيث؟ أضافت:

«ماذا لو لم يحضر كولين؟»

«إن الأمر لا يستحق التفكير فيه».

قالها بحزن وهو يدفعها تجاه السيارة:

«هل يريحك أكثر أن تجلسي على المقعد الأمامي، أنت والطفل؟»

«لا ضرورة لذلك. أستطيع أن أعطيه كل اهتمامي في المقعد الخلفي، كما أن أريادني تستطيع أن تحدثك باليونانية».

«إذاً فالأمر بالنسبة إليك مجرّد يوناني. أليس كذلك يا عزيزتي؟»

كانت هذه هي الحقيقة ولكنّ تشاريتي رفضت أن تعلنها. تحوّلت أريادني الى لوكوس وابتسمت له وهو يدخل السيارة بجانبها. ألقت تشاريتي بظهرها على المقعد الخلفي وهي تشعر فجأة بأنها متعبة ومهزومة. كان لوكوس محقاً، أن الأمر كلّه يوناني بالنسبة لها. لم تكن تصدق أبداً أنّ فيث أقامت في مثل هذا البيت، ولكنها لا تعرف شيئاً عن نيكوس. ربما كان يستحق هذا، البرد، والفقر، والأقامة في أراخوفا. ولكن اذا كانت فيث أحبّت نيكوس الى درجة تحمّل كل ذلك، ما الذي حدث لتهرب منه؟

توقفت عن التفكير في هذا اللغز وحوّلت إهتمامها الى مشاهدة الحقول التي أخذت تتوارى الى الخلف.

خرجت أفيجينيا من أحد متاجر أراخوفا وهي تحمل المشتريات. كان الحزن واضحاً على وجهها وهي تضع الطفل على ركبتي تشاريتي، وربّتت على رأسه وتحسست شعره الاحمر. ثم

إستدارت مبتعدة عنهم وهي تتمتم بدعوات كانت مثقلة بأحزان الفراق. تمنّت تشاريتي لو أنها تعرف اليونانية، لتحدثت الى المرأة أو أي انسان يعرف من هي فيث معرفة حقة أثناء اقامتها في أراخوفا، انسان تثق هي أنه كان مغرماً بها، كما هي مغرمة بابنها.

«أوه يا ألكسندرا»

«سيكون ألكسندروس مرتاحاً مع والدي. في عمره هذا لن يلاحظ كبر سنها».

«ان الأطفال في حاجة للحب، فهل سيمنحانه له؟»

ضحكت أريادني ضحكة خافته طويلة وقالت:

«ستمنحه أليكترا الحب. ستغرقه بحبها».

«هذه مجرد ترتيبات مؤقتة، فسأنتقل بألكسندروس الى شقتي، وأجد له من يرعاه ربما أليكترا تقوم بالمهمه في الوقت الراهن. ولكنها هي الأخرى ليست صغيرة الآن».

أغمضت تشاريتي عينيها. وحاولت أن تفكر في كولين بشيء من الحماس. في عقلها صورة له عن آخر مرة رأته فيها، كان شعره الذهبي مجعداً. النظافة المفرطة أهمّ ما يميز مظهره، ويفضل الملابس التقليدية الغامقة دائماً مع القميص الأبيض وربطة العنق الوقورة، وحياته شبيهه بملابسه. كان يعمل في بنك وله شقة صغيرة مؤجرة يقوم بنفسه على تنظيفها وترتيبها، لا يمكن لأحد أن يعترض على زواجها منه حتى لوكوس.

أحست بالخطر، مع ازدياد ادراكها بدفء جلد لوكوس، والطريقة التي تمسك بها يداه الجميلتان عجلة القيادة، لم تستطع تحويل نظرها عنه، وتمنّت لو تلمسه بأطراف أصابعها. بذلت جهداً في محاولة السيطرة على تنفسها. يالللحظ! أن الظلام سيحل على الفور. ما الذي دهاها؟

كلّما أسرع كولين بالمجيء كان أفضل. وتذكّرت أنها لم تطلب منه حتى الآن أن يأتي. سوف تتصل به تليفونياً الليلة عند عودتها إلى الفندق.

توقف لوكوس أمام فيلّلا دائرية الشكل تحيطها حديقة مسورة. لا شك أن نقوداً كثيرة أنفقت على هذا المنزل، على عكس بيت أراخوفا.

ارتعشت أريادني وهي تتسلل بنظرها من نافذة السيارة، وقالت للوكوس:

«لن يرغب أحد في رؤيتي».

وضع يده على كتفها وجذبها اليه.

«تعالي يا أريادني لتريها. سيعتقدان أن هناك خطأ إذا بقيت وحدك هنا».

جالت تشاريتي بنظراتها المتسائلة من واحد الى الآخر، ولكنّها تجاهلاها. وتمنّت لو لم يتحدثا بالانكليزية ما دامـا لا يريدانهـا أن تعـرف شيئـاً عمّـا يدور بينهما.

ترى ما هو السر الذي يحيط بأريادني، ويجعلها تسبب مثل هذا الاضطراب لوالدي لوكوس؟ ألقت اليه نظرة تنم عن صبر نافد، وضمّت ألكسندر الى صدرها ونزلت من السيارة مسرعة، لدرجة أن ذراعها أصيبت لا حتكاكها بالباب. لاحظ لوكوس غضبها فقال:

«إنك تحتدّين بلا سبب».

«ليس من الذوق أن تتحدثا بهذه الصورة أمامي، يمكنكما أن تحتفظا بأسراركما!»

«سأفعل ذلك! هل آخذ الطفل؟»

«كلا! لقد استيقظ لتوه وقد تفزعه».

وانطلقت نحو المنزل، وهي تدق الممر بكعب حذائها في غضب، ولكنها لم تبتعد كثيراً حتى وجدت يديه على كتفيها ويديرها نحوه لتصبح في مواجهته. وقال بهدوء ولكن بعناد:

«أنا سآخذ ألكسندروس. حان الوقت ليتعود عليّ يا آنسة أرتشر واذا فزع، فهذا ليس من شأنك».

ردّت عليه باحتجاج:

«بل من شأني. إفزاع طفل من شأن أي انسان، وألكسندر ابن أختي».

«لقد نسيت، واعتقد انك نسيت أنه ابن اخي أيضاً».

تخلّت له عن الطفل على مضض، ولاحظت وهي تضعه على ذراعيه، الرقة التي وضع بها يده تحت رأس الطفل. وضايقها أكثر الطريقة التي ثرثر بها ألكسندر وهو ينظر اليه.

«انك لا تسمح لي أن أنسى يا سيد باباندريوس».

أثار غضبها بضحكه. وجذب شعرها بيده الخالية بشدة ألمتها، وضحك مرة أخرى من تعبيرات الغضب التي ارتسمت على وجهها وقال:

«هل نعلن الهدنة فيما بيننا الى أن يصل خطيبك؟»

تلاشى غضبها عندما جاء ذكر كولين، شعرت بالحزن وقالت متوسلة:

«أنني أود رؤية ألكسندر ولكن لا يمكنني المجيء الى اليونان كثيراً، إنه أمر مكلف للغاية».

«سوف نتحدّث في ذلك أيضاً عندما يأتي».

«أفضل أن أرتب أموري بنفسي».

«لطالما ردّدت على سمعي ذلك. أنني أرثي لكولين».

لم يتح لها الفرصة للرد على هذه الملاحظة الجافة. فقد فتح الباب الأمامي على مصراعيه، وألقت سيدة مسنّة نظرة واحدة على الجمع الواقف أمام الباب، وأطلقت صرخة ترحيب واندفعت نحو ألكسندر وهو آمن في مهده بينما راحت هي تطلق صرخات البهجة. قالت أريادني:

«أليكترا».

وقدّمها لوكوس قائلاً:

«خالتي».

أعدّت تشاريتي نفسها لتحية المرأة اليونانية، ولكن أليكترا لم تر أحداً سوى الطفل. وفي لحظات كانت قد اختطفته من لوكوس واندفعت به داخل المنزل معلنة قدومه لكل من يستمع اليها. تابعتها تشاريتي بنظراتها مندهشة. وسمعت أريادني تضحك خلفها وتذكرت ما قالته من أن أليكترا ستمنحه كل الحب في بيت جدّيه. نظرت الى لوكوس نظرة فيها كبرياء وتحدّ، اذا كان يظن هو، أن أليكترا هي الشخص المناسب لرعاية ابن أختها، فهي لا ترى ذلك. كان بريق عينيه قد أشعل جمرات في خديها فأشاحت بوجهها بعيداً قال لوكوس:

«كما قلت لك. مجرد ترتيبات مؤقتة».

«أمل ذلك».

لم يكن لقاء والدَي لوكوس بالمحنة التي توقعتها. كانت أمه صغيرة الحجم وممتلئة، يداها منشغلتان دائماً بالتطريز الذي تهواه وتجد متعة فيه. وعندما قابلت تشاريتي أحنت رأسها قليلاً ورحبت بها باليونانية ولم تحادثها مباشرة مرة أخرى، ولكن تشاريتي كانت تشعر أنها تراقبها من وقت لآخر وتمنّت لو أنها لم تقارنها بفيث.

كان لزوجها نفس ملامح ابنه، ولكنه أصغر حجماً وزاد وزنه كثيراً في السنوات الأخيرة. له ولع بالجمال كما ظهر من شعوره بالسعادة بصحبة أريادني، غازلها وامتدح مظهرها واعتصر يديها بين يديه. وفجأة التفت الى تشاريتي قائلاً باليونانية:

«اذاً أنت أخت فيث؟»

أومأت تشاريتي بالايجاب، بينما قامت أريادني بالترجمة وهي تبتسم لتشاريتي في تعاطف.

«لماذا أتيت الى اليونان؟ كنا نتساءل دائماً اذا كان لأختك أسرة في الكلترا. لقد تأخرت كثيراً في الحضور الى هنا. لقد ماتت هي ونيكوس».

قالت تشاريتي بثبات:

«لم أكن أعلم ذلك عندما أتيت».

وسار نحو رف مثبّت في الحائط، وبحث بين مجموعة التماثيل والأيقونات الموضوعة عليه، وعاد في يده صورة ألقى بها على ركبة تشاريتي وقال:

«ابني نيكوس».

هل هذا زوج فيث حقيقة؟ هذا الشاب الغريب المشعّث، ذو العينين المفكرتين، والنظرة التي تنمّ عن أنه رأى كل شيء يمكن رؤيته.

«أنني آسفة».

انتزعت أريادني الصورة منها وأعادتها الى الرف وقالت:

«كان نيكوس شيئاً آخر يتدفق حيوية، إن هذه الصورة لا تعبّر عنه في شيء. كيف يمكن لآلة التصوير ان تعرف ما يفكر فيه الانسان أو يشعر به. حتى سبيرو وكزينيا والدي نيكوس لم يعرفا عنه شيئاً».

توقف لوكوس عن الحديث مع أمه ونظر عبر الغرفة الى أريادني وقال:

«لم يكن من الصعب فهم نيكوس. كانت له زوجة وطفل وشغوفاً بالمسرح. ليس من المستحسن ان تحيطيه بكل هذا الغموض. أليس كذلك؟»

وافقته أريادني وجلست بالقرب من كزينيا باباندريوس التي إبتسمت وبدأت تريها التطريز.

أما سبيرو باباندريوس فلم يقتنع وقال باليونانية:

«بل هناك الكثير عن نيكوس».

أحاط لوكوس والده بيديه وقبله بطريقة تلقائية رقيقة وقال:

«تشاريتي تعتقد أنني أبوللو. وقد قلت لها أن نيكوس يشبه ديونيسيوس ألا توافقني؟»

قال الوالد في سرور:

«نعم، هذا صحيح. لابد أن أكون أنا زيوس كبير الرموز نفسه حتى أنجب مثل هؤلاء الأبناء. وضحك قائلاً:

«أبوللو وديونيسيوس. هذا رائع. رائع».

٥ ـ الزوج المناسب؟

كان لوكوس محقاً بشأن مطعم الفندق، كان الطعام خليطاً فاشلاً من المطبخين اليوناني والانكليزي، في محاولة لارضاء الجميع. ولكن تشاريتي لم تكن تحب التوجه الى الكافيتيريا بمفردها، وتتعرض لحملقة كل رجل فيها وحديثه عنها. كان ذلك يمنحها شعوراً بأنها تشبه حصان السباق في الحلبة. وتمنت مجيء كولين، لحمايتها من مغازلاتهم وملاحظاتهم الشخصية التي تحيط بها أينما ذهبت.

أكد لها أنه سيأتي. ولم يأبه لأجرة مكالماتها الهاتفية له بشأن قضائهما عطلة عيد الميلاد معاً. قال لها عبر التليفون:

«لم أرغب في ذهابك بعيداً لوحدك. لماذا لم تعودي الى الوطن.»

«بسبب ألكسندر.»

«نعم. نعم. الطفل.»

توقف الحديث بينهما لحظة. ثم قال:

«اذاً، سأحاول حجز مكان في رحلة الطائرة غداً.»

«أوه، يا حبيبي، سيكون ذلك رائعاً، ولكنه مكلف الى حد ما، هل يمكنني تقديم المساعدة؟»

«ستكون هذه هديتي لك في عيد الميلاد.»

انها لا تتذكر أنها تبادلت الهدايا مع كولين من قبل.

«وهو كذلك؟»

«وسنقوم معاً بكل شيء على خير وجه. أنني سعيد بهذه المكالمة الهاتفية برغم أنها كلفتك الكثير».

«فعلاً...»

«لا يهمك يا حبيبتي، سأكون غداً عندك بنفسي. ما هو إسم الفندق؟ إحجزي لي غرفة هناك من فضلك.»

ذكرت له إسم الفندق، وهي تحس بارتياح كبير لأنه طلب غرفة لنفسه. لقد تعجبت للحظة من هذا التفكير، ولكنها تعلم أن كولين كان من أكثر الناس إيثاراً واحتراماً. انه يؤمن بالزواج وجميع الفضائل المتعارف عليها.. عندما تكون معه تعرف أين تقف، ولا يسبب لها الارتباك كما يفعل لوكوس، بتذكيرها أنها إمرأة، ولا يعتد برأيها، ومع ذلك يشعرها بسعادة تفوق الوصف لأنها إمرأة. أما كولين فيراها كشخص مسؤول، وقادرة بمثله تماماً على تحمل مسؤولية نفسها. لم يكن أبداً يرغب في اتخاذ القرارات لها. ولا شك أن هذا شيء يستحق الاعجاب به.

وعندما وصل، لم تشعر بالحماس.

دخل كولين الى غرفة الطعام، يبدو عليه الارهاق والعصبية. وصاحت تناديه:

«كولين!»

شاهدها وسار نحوها وألقى بنفسه على مقعد في مواجهتها.

«لم أكن أتصور أبداً أن تكون اليونان بهذا الشكل.»

«بأي شكل؟»

«لا أعرف. أنها مخيبة للآمال. أليس كذلك؟ إن أثينا أصغر مما كنت أتصور.»

إبتلعت تشارلتي ريقها وقالت:

«إنها مدينة حديثة تماماً.»

«ولكن لها بعض السمات القديمة، ألم تشاهدي آثارها بعد؟»

«لم أفعل. ولكنني شاهدت، دلفي.»

«حسناً، المزيد من الأطلال؟»

وحاولت تغيير موضوع الحديث، وهي تشعر بمسؤوليتها عن إحساسه بخيبة الأمل في المدينة التي جاءت به إليها، قالت:

«لقد كان كرماً منك أن تأتي.»

«لم يكن ذلك مناسباً تماماً. والحق، أنني لم أدرك أننا وصلنا الى هذه النقطة في علاقتنا. الواضح أن غيابك جعلني أشتاق اليك أكثر. أرجو ان يعبّر ذلك عما أعنيه.»

«أعتقد ذلك.»

«وماذا يعني لك؟»

«لا أعرف، أوه، كولين، كان يجب أن أعبّر عن شعوري نحوك بالضبط لكن ما أشعر به هو أنني فقدت القدرة على الاحساس، إلا فيما يتعلق بالكسندر. انه طفل حبيب، وهو الجزء الوحيد المتبقي من فيث.»

«يبدو أن ذلك ليس بالخسارة الكبيرة، انك لم تريها منذ سنوات ولم تكونا على إتفاق في أشياء كثيرة عندما تلتقيان.»

«كولين!»

تمتم معتذراً:

«ولكن يجب أن تعترفي بأن هذه هي الحقيقة، لا بد أنك شعرت بصدمة كبيرة عندما علمت بنبأ وفاة فيث، ولكنك لم تكوني أبداً ضعيفة في مثل هذه المواقف.»

«أية مواقف؟»

«حسناً، لقد تحملت وفاة والدك بشجاعة، وليس من طبيعتك أن تظهري

مثل هذا الوله بطفل لا تعرفين شيئاً عنه.»

«إنه إبن أختي.»

أخذ كولين قائمة الطعام من الساقي ولوّح بها في الهواء. وكان ذلك مختلفاً عن الطريقة الذكية، التي يستخدم بها لوكوس يديه للتعبير عن فكرة.

«كلها يا تشاريتي، ان لي نصف دستة من أبناء الأخوات، ولا أهتم بهم كثيراً، صحيح انني أرسل هدايا صغيرة في عيد الميلاد ولكنني لا أهيم بهم هكذا، انهم ليسوا أولادي، أعني أن شعوري سيكون مختلفاً لو كانوا أولادي. أليس كذلك هو شعور كل إنسان؟»

«أحقاً ما تقول؟ لا يمكنني أن أبدي رأياً فلم يكن لي أولاد أبداً.»

«لعل هذا هو ما ينقصك. عندئذ لن تهيمي هكذا بألكسندر.»

«أنني لا أهيم بأحد.»

قالتها تشاريتي ببطء ووضوح حتى أن كل الموجودين في غرفة الطعام كانوا يستطيعون سماعها. قال لها راجياً:

«هس. هس إن الناس ينظرون اليك.»

«إن هذا لا يهمني.»

«أظن أن وجودك في اليونان غيّرك كثيراً. لو أنك في لندن لما أثرت هذا الانتباه اليك.»

«لم أحس أبداً بالحاجة لذلك.أوه كولين، لا تدفعنا للتشاجر، أعلم أنك لا تستطيع فهم هذا التعلّق من جانبي بألكسندر، ولكنك ستفهم عندما أحدثك في الأمر. انه وحيد، يا للطفل المسكين. ان عائلة باباندريوس كانت تكره فيث، فما هي الحياة التي يمكن لهذا الطفل أن يتطلع اليها؟ هناك لوكوس بالطبع. ولكنني لست واثقة من انه مهتم به حقاً. لا أحد يهتم به، مثلي!»

«من هو لوكوس؟»

«أخو زوج فيث. ليتك شاهدت المنزل الذي كانت تعيش فيه فيث في أراخوفا! لم أندهش حين سمعت برغبتها في الفرار، وان كان ذلك شيئاً مروعاً أيضاً.»

«أظنك قلت أنها قتلت بالقرب من دلفي؟»

«انها قرية ملاصقة لدلفي. وقتل نيكوس أيضاً. أعتقد أنهما كانا يسيران بسرعة كبيرة.»

ثم نظرت اليه تشاريتي بحنان:

«أوه كولين، جميل أن أراك. انك تتصرف بشكل طبيعي، ستطلب من لوكوس أن نحصل على الطفل، أليس كذلك؟»

تدفق وجه كولين بالسعادة وقال:

«أعتقد أن كل ذلك كان بمثابة صدمة لك.»

«أتعرف، ان لوكوس يرفض التحدث معي بشأن ألكسندر، وله أراء رجعية جداً بشأن النساء.»

«يعتقد أنهن لا يصلحن إلا لشيء واحد؟»

احمرّ وجه تشاريتي، متذكرة انها هي أيضاً لها بعض الأفكار الغريبة حول لوكوس. ولم يخطر لها ببال أن تفكر فيما يكون إحساسها حين تلمس شفتي كولين بأطراف أصابعها، ولكنها عرفت الآن. نظرت اليه نظرة ناقدة عبر الطاولة وتساءلت لماذا تشعر بالضيق لأنه يبدو شاحباً، ولأن شفتيه تبدوان بهذا التوتر. ان الذنب ليس ذنبه أنه يعمل في لندن، وليس في دفء الشمس الساطعة لبحر إيجه.

« حسناً. هل حاول معك شيئاً؟»

«بالطبع لا. انه يظن فقط أن المرأة يجب أن تتمتع بحماية الرجل، ويعتقد أن المرأة تنتمي الى زوجها!»

«وماذا يعنينا فيما يعتقد، من هو لوكوس بالضبط؟»

« لوكوس بابانديوس، أخو نيكوس.»

أحسّ بالراحة وابتسم لها قائلاً:

«إذاً فقرابته لألكسندر تماثل قرابتك له؟ ألا يريد هو الطفل؟ اذا كانت آراؤه عن النساء غريبة كما تقولين، فأعتقد أنه قد يفكر بالقيام بتربية الطفل؟ فما الذي يجبرك على تحمّل عبئه؟»

«ولكن هذا هو الوضع بالضبط هو يقول انه يمكنه أن يرعى ألكسندر لأنه مثل والده يجب أن ينشأ في اليونان. ولكن فيث أرادت أن ينشأ انكليزياً وأن أرعاه.»

سألها كولين بحدّة:

«هل أبلغت لوكوس بذلك؟»

«بالطبع، ولكنه لا يريد حتى مناقشة الأمر معي. يقول انه سيتحدث معك بشأنه.»

«لا تبتأسي يا تشاريتي. إن عليه التحدث معي في ذلك طالما أنني سأتزوجك. يجب عليه أن يحمي الطفل. وقد أرفض أخذه، أو أرفض إعالته.»

صاحت تشاريتي وقد إمتقع لونها:

«ترفض إعالته؟»

«إنني لا أرغب فيه كثيراً. ولكنني أرغب فيك بدرجة تجعلني أتحمله.»

تأثرت تشاريتي من صدقه وقالت تحثه:

«إذاً سوف تتحدث مع لوكوس؟»

«لا أرى مانعاً من ذلك. سوف يجد صعوبة في النقاش معي. هذه إحدى خصائص الأنكليز، التفوق على اليونانيين ابتداء من لورد بايرون الى الحرب الأخيرة.»

ذكرت تشاريتي نفسها بأن كولين لم ير لوكوس بعد، وحتى لو رآه لم يخامرها الظن ابدا أنه وقع بهذا الشكل، يبدو لها كأنه غريب، أجنبي أكثر من بعض الأجانب؟ لوكوس!

فوجئت بالاتجاه الذي تحوّلت اليه أفكارها، واغتصبت ابتسامة وبدأت في الكلام:

«أنك على حق. لا بد أن يستسلم لك اذا تحدثت اليه.»

وأضافت في محاولة لارضائه، وهي محاولة لم تضطر للقيام بها مع لوكوس برغم أفكاره عن النساء، وبرغم أن كولين يؤمن بقدرة المرأة على التفكير وتولي شؤونهن بأنفسهن:

«كان لطيفاً منك أن تأتي. لقد حجزت لك غرفة في طابق غير الطابق الذي فيه غرفتي، ولكنها تطل على منظر أجمل. ستطل منها على أثينا؟ والأضواء وكل شيء!»

«تبدو مزعجة قليلاً.»

«أوه كولين!»

«أسف، انني متعب، هذا كل ما في الأمر. لعل هذا يرجع الى توتر الرحلة الجوية.»

وافقته تشاريتي على رأيه برغم استمتاعها تماماً برحلتها منذ أيام قليلة، ونصحته بأن يخلد الى الراحة مبكّراً، وأنها ستبلغ لوكوس بوصوله ورغبته في مقابلته.

«سأقوم لأكلّمه تليفونياً الآن.»

«وهو كذلك يا حبيبتي، سأطلب شيئاً في هذه الأثناء، ماذا تحبين، الشراب الأسباني؟»

«أفضل الشراب الوطني لقد تعوّدت عليه تماماً.»

«قيل لي إنّ مذاقه فظيع.»

«لماذا لا تجرّبه؟»

ولكن كولين إشمأز من مجرّد الفكرة. أسرعت تشاريتي صاعدة الى مكتب استقبال الفندق. أعطت شاباً رقم تليفون لوكوس ليطلبه لها. ردّ لوكوس بنفسه، وأحست بموجة من الراحة تجتاحها عند سماعها صوته.

«إنه أنا، تشاريتي.»

«كيف حالك يا تشاريتي.(قالها باليونانية.)

«ماذا؟»

«لقد سألتك كيف حالك؟ هل تتلعثمين هكذا دائماً في التليفون؟»

«كلا بالطبع، كنت أخشى أن يردّ علي شخص آخر، أعني، ربما أنت في الخارج، أو كان هناك شخص آخر؟»

قال مداعباً:

«إذا كنت تودّين معرفة ما إذا كنت بمفردي، فالواقع أنني لست وحدي. ألكسندروس معي وأليكترا، لم تكن فكرة تركه مع والديّ فكرة ناجحة.»

«ان كولين هنا.»

«آه.»

كان هذا المقطع الذي راح يمط فيه طويلاً مليئاً بالمعاني، مما جعل تشاريتي أكثر غضباً مما هي عليه بالفعل. كانت تشعر بأن لوكوس لن يحب كولين كما تريد، ولم تكن على استعداد لأن يختبر ذوقها في الرجال، وحتى لو أعجبه كولين، فليس هناك ما يمكن أن يعجب كولين فيه، وبدأت تحسّ أنه من الأفضل للرجلين ألاّ يتقابلا على الاطلاق.

«أنه يريد ألكسندر مثلي تماماً.»

«هذا ما أشك فيه.»

كانت رنة الدعابة ما زالت في صوته، وكأنه يعلم حالة الترقب العصبي التي تمرّ بها. قال:

«متى ستحضرينه لأراه؟»

«هل يمكنك ترتيب موعد اللقاء غداً؟»

«بالطبع، هل يوافقك الساعة الثانية والنصف، ان مكتبي يغلق أبوابه حتى الرابعة في فترة الغداء.تشاريتي، ستتركين رجلك الشاب وحده معي، هل هذا مفهوم؟ أما أنت فيمكنك التحدّث مع أليكترا وألكسندروس في الحجرة الاخرى.»

«ولكن كولين.»

«سوف أراه بمفرده، لا شأن لذلك بألكسندروس، سنقرر أولاً ما اذا كان هو الزوج المناسب لك، وذلك أسهل لكل منّا عندما لا تكونين معنا.»

«ولكن لا يمكنك! ان كولين لا يستطيع فهم ذلك! لوكوس، هذا الأمر لا يخصك.»

«اعتقد أن كولين سيفهم تماماً. وبدأت أشك بأنك لا تثقين فيه.»

نظرت تشاريتي بتعاسة في سماعة التليفون. كيف يمكن أن يفعل ذلك؟ من المؤكد أن كولين سيكون فظاً معه، وعندئذ لن يسمح لها أبداً بأخذ ألكسندر. فلوكوس ليس بالشخص الذي يمكن معاملته بفظاظة مرتين. قالت:

«بالطبع أنا واثقة منه. سنحضر في الثانية والنصف.»

«حسناً، سأراك حينئذ. تصبحين على خير يا تشاريتي. أنا سعيد لأنك تتمتعين بالحماية، ولن يمنعني شيء من اختلاس قبلة، هل ستكونين سعيدة أنت أيضاً؟»

كانت روح الدعابة واضحة تماماً في صوته. وكان غضبها واضحاً، ولكن لم تشعر به عميقا في قلبها. بعد أن وضعت السماعة بفترة طويلة، ظلت تشعر بدفء، عندما داعب خيالها إحتمال تنفيذه لهذا التهديد. ولكن هذا لا يعني أي شيء، ان كل إنسان يمرّ بلحظات يودّ فيها أن يقبله شخص ما حتى وان كان لا يحفل به على الأطلاق.

كان كولين يتثاءب عندما عادت الى غرفة الطعام. سألها:

«هل حددت موعداً مع اليوناني؟»

هزّت رأسها بالايجاب وكانت على وشك أن تبلغه أن لوكوس ينوي أن يفحصه ليرى مدى صلاحيته كزوج لها، ولكن شجاعتها خانتها . لو أنها قالت ذلك لأي إنسان لانفجر في عاصفة من الضحك ولكن كولين لم يكن من النوع الخفيف الظل. وفي تلك اللحظة تأججت حقا كراهيتها له.

كانت شقة لوكوس في أحد الأحياء الراقية من أثينا، بالقرب من السفارة الامريكية وفندق هيلتون. ألقت تشاريتي نظرة جانبية على كولين بينما كان يسير برفقتها وهما يدخلان المبنى قال كولين:

«انه رجل له قيمته. لا بد أن أحواله المالية جيدة كنت اتمنى الاقامة في مكان كهذا.»

«ربما مكتب الشركة التي يعمل بها في هذا المبنى. لا أعتقد أن عائلة باباندريوس ثرية بدرجة كبيرة، فالمنزل في أراخوفا لم يكن به أثاث تقريباً، كما أن نيكوس لم يكن يملك أكثر مما كان يكسبه من عمله.»

تمنّت تشاريتي لو أن كولين تخلّى عن ذلك التصرف الصبياني وهو ينظر حواليه باحترام شديد، قبل أن يراه لوكوس. لقد بدا قزما وسط ما يحيط به. فتح لهما لوكوس الباب بنفسه:

«أهلاً، تشاريتي ان إبن اخوينا تسمعين صوته يصرخ من الداخل مرحباً بطريقته الخاصة.»

رفع كولين يديه بالتحية متجاهلاً يد لوكوس الممدودة إليه. رأت لوكوس يرفع حاجبيه في دهشة. ودخل كولين مسرعاً، وقد إشتعل حماسه لرؤيته إحدى الصور المعلقة على الجدار:

«هذا هو أول شيء متحضرّ أراه في أثينا.»

وتجوّل بنظره في انحاء المكان، وهو يحسب على ما يبدو تكاليف الاثاث.

«جميل جداً. لقد أعطتني تشاريتي انطباعاً خاطئاً تماماً عنك.»

«لم اقل شيئاً عنك اطلاقاً! سوى أنك لا تريد إعطائي ألكسندر.»

«هل أبلغت كولين لماذا أريد أن أراه؟»

وكأنما ألقى على وجهها بماء بارد واتسعت عيناها في شعور بالذنب:

«أرجوك لا تفعل.»

«ولكنني سأفعل. أليكترا تنتظرك في غرفتها في نهاية الممر. يمكنك أن تنضمّي اليها الى أن ننتهي من حديثنا، إتفقنا؟»

كانت لمسة يده على ظهرها كفيلة بأن تجعل قلبها يدقّ في عنف. من الممكن أن تجادله في تصرفه مع كولين كما لو كان أباها، أو قريبها، ولكنها شعرت بجفاف في دمها، وركبتاها ترتعشان، ولم تقو على مواجهة بريق عينيه.

كان كل ما يهم كولين هو أن يتوجه الى غرفة الجلوس. أخذه لوكوس وأغلق الباب خلفهما بقوّة، ليبعدها عن مؤثر خاص بالرجال كانا سيعقدانه. وقفت في مكانها لفترة طويلة، وهي واثقة أن مستقبلها على وشك الانهيار. إنها لا تثق في كولين. ولوكوس سيمزقه إرباً، وهي لن تكون هناك لتخفّ الى نجدته وتوجهه الاتجاه الصحيح. كان

لوكوس يمارس معها التقليد الأغريقي القديم، الخاص بالعناية باليتيم والأنثى التي ليس هناك من يحميها.

دخلت الغرفة ووجدت أليكترا تحمل ألكسندر على ركبتيها، نظرت الى تشاريتي وقد ساورها شك ثم قالت:

«لماذا أتيت إلى هنا؟ هل تريدين أخذ الطفل بعيداً عني؟ ولكن لوكوس وعدني أن ارعاه الى أن يقوم باعداد مكان مناسب لأقامته وهذا هو كل ما أريده، أسابيع قليلة أرعى فيها الطفل، هل ستحرمينني من ذلك أيضاً؟»

«كل ما أريده هو أن أرى الطفل، لن آخذه منك، أنا أيضاً أحبه كما ترين.»

«من هو الرجل الذي أتى معك؟»

«انه كولين، صديق لي، وقد أتزوجه.»

«اذا وافق لوكوس؟»

«هذا الأمر لا يخصّه، كل ما هنالك انني لم أقرر بعد.»

«بالطبع هذا يهم لوكوس إن والدك غير موجود، أليس كذلك؟وليس لك أخوة يتولّون أمر تسوية مثل هذه الامور، إن لوكوس يقول بانك لا تمتلكين الكثير مثل أختك ولذلك فهو لن يتزوجك من أجل المال.»

«ان فيث أيضاً لم تستفد كثيراً من زواجها.»

«ماذا تتوقع؟ إن العائلات لا تقنع دائما بزواج هروبي. لقد قبلنا كلمة نيكوس بأن الفتاة كانت طاهرة، ولكننا لم نعرف شيئاً عنها من تصرفاتها. ولم نكن حتى واثقين من انها تحب نيكوس، هذا أمر تصعب معرفته من أية فتاة إنكليزية. هل تحبينّ ذلك الرجل؟»

«اعتقد ذلك.»

«ان كزينيا ليست بالمرأة السهلة برغم أنها أختي. أنني أقدّر تماماً عدم ثقتها في فيث.»

ثم قالت فيما يشبه الهمس:

«انها لم تتحمل الطفل، وكان على لوكوس أن يأتي بنا الى شقته لم أكن أرغب المجيء في بادىء الأمر.»

«لماذا؟»

«بسبب أريادني. ان لوكوس يعتقد أنني لا أعرف عنها شيئاً، ولكنني أرى أكثر مما يظن. فأنا أعرف أنّ أفراد عائلتها على خلاف معها. وكيف كانوا سعداء، عندما أخذها نيكوس من أثينا لتقوم بدور في مسرحيته في دلفي. وأعرف أيضاً لماذا! هل تعلمين أن شاباً وعدها بالزواج والآن قطع علاقته بها ولم يبّر بوعده. لقد تحطّمت! كنت أخشى إذا جئت إلى هنا أن أجدها هي أيضاً أمامي.»

«هنا؟»

«إنها تحب لوكوس. والاّ فما السبب في أن تسمح له بما فعل؟ يا للفظاعة! من الذي يرضى أن يتزوجها الآن؟ ربما كانت تظن أن لوكوس سيفعل ذلك، ولكن ما الذي يجبره على أن يتزوجها؟ اعتقد أن العلاقة بينهما ما زالت قائمة.»

تساءلت تشاريتي كيف لم تلاحظ ذلك؟ أصابتها رعشة وشعرت فجأة بأنها تجمّدت.

٦ ـ المساومة

«حسناً، ماذا قال؟»

كان غضب تشاريتي يزداد حدّة، وهي تسير مع كولين الى الفندق، خاصة وأن كولين إلتزم الصمت إزاء ما دار بينه وبين لوكوس من حديث.

«لا بد أنه قال شيئاً»

«نعم، لقد فعل ، ولكن ليس ما قاله بشأن ألكسندر.»

«بشأني أنا؟»

قالت ذلك بصيغة الأمر. فهي لا تريد لوكوس أن يتدخل في شؤونها. تكفيه أريادني، ويكفيه أيضاً أنه دمر حياة الفتاة اليونانية.

قال كولين معترفاً:

«الى حد ما. لا أدري ماذا رويت له عن حياتك في إنكلترا، ولكن لم يجب عليك القول انك وحيدة. فأنا موجود أليس كذلك؟»

«بالتأكيد.»

«اذاً لماذا قلت له أنه عليك القيام بكل شيء وحدك؟»

«لا أظن. لم أكن لأقول ذلك حتى ولو كان صحيحاً.»

«هذا الرجل باباندريوس يعتقد أنه ينبغي عليّ القيام بكل العمل، وأن أبصرك بماذا تفعلين. لقد حاولت افهامه أن علاقتنا في ذلك الوقت لم تكن تسمح بذلك.»

«أنني لست عاجزة. حقيقة إن لليونانيين أفكاراً غريبة بشأن النساء، ولكنني لست شيئاً يملكه أي إنسان، ولا تقتصر مهمتي على إرضاء الرجل».

«أنك محقة تماماً. إنك أمرأة عملية تماماً.وذلك ما يجعلني أطلب منك أن تسايري باباندريوس، لو أتقنت دورك معه فأعتقد أنه يساعدك في زواجك بطريقة ما. فهو يشعر بنوع من المسؤولية تجاهك، بسبب فيث ، على ما أعتقد. لأنه يعتبرك واحدة من العائلة، وهذا شيء مفيد لك.»

«كلام فارغ، كان نيكوس فقيراً للغاية.»

«ولكن لوكوس ليس فقيراً.»

«كلا، ولكنني لن أقبل منه نقوداً حتى لو عرض عليّ ذلك. ربما يفكر أن يهب شيئاً لألكسندر، هذا شيء مختلف. ولكن لن نقبل شيئاً مما يهبه.»

«لم يقل أي شيء عن ألكسندر. كان حديثنا عنك أنت، وكان لديه الجرأة ليسألني ماذا أكسب!»

امتقع لون تشاريتي، وأحست بالحيرة تمزقها، وباحساس غريب بالعرفان بالجميل للوكوس، لتحمله مثل هذا العناء من أجلها، يا لأريادني المحظوظة، حتى لو لم ينو الزواج بها.اندهشت للأفكار التي راودتها وحاولت مواجهة نظرات الدهشة في عين كولين.

«أتضحكين؟ ليس هناك ما يثير الضحك على الاطلاق. إنه يعتقد أنني لا أكسب ما يكفيني وحدي، لذا عليّ عدم التفكير في الزواج بالمرة.»

«يا إلهي!»

«لقد أخبرته أن الفكرة فكرتك، وأنني أفضل الانتظار قليلاً.»

«هل قلت ذلك؟»

«لكنك لا تودين الانتظار بسبب ألكسندر.»

«أشكرك كثيراً، يبدو أنك لا تريد الزواج مني على الاطلاق! كولين لست مرغماً على ذلك. أستطيع أن أدبّر أموري لوحدي.»

«لن تستطيعي طالما أنك ترغبين في الحصول على ألكسندر.»

قالت معترفة:

«نعم، أريد ألكسندر، ولكن يبدو أنه لا يكفيك الحصول عليه أليس كذلك؟»

«لن يأتيني بيدين خاليتين.»

«هل تقصدني أنا.»

«أعتقد ذلك.»

لم يكن ذلك حديث حب. كانت تفضل لو أنه أخذها بين ذراعيه حتى ينسيها ألكسندر. وهذا ليس من طباع كولين. فهو مثلاً لن يستخدم قوته العضلية للفوز بجدل معها، كما أنه قد يحتقرها لو استخدمت أنوثتها لاغرائه بالموافقة على أمر ما.

«كولين، ألم تبلغه أن زواجنا ليس من شأنه؟»

أفزعه الاصرار الذي بدا في صوتها وقال:

«ولكنني يا تشاريتي أقول لك انه مصمم على مسؤوليته تجاهك. واذا كان يريد أن يمنحك بعض النقود عندما تتزوجين. فلماذا نرفضه؟»

«لا مناقشة في هذا الأمر. أنه لا يمثل شيئاً بالنسبة لي، حتى قرابته. نستطيع أن نعمل، ونكسب بجهدنا ما نحتاج اليه. أستطيع أن أعمل أيضاً يا كولين ولا أكون عبئاً عليك.»

«أعرف يا حبيبتي ولكنك مهما فعلت لن تكسبي سوى الفتات، أما

لوكوس فانه سيعطي أموالاً كثيرة.»

«لن أقبل منه شيئاً.»

قال كولين ضاحكاً:

«أما أنا فليست لي مثل هذه الحساسية، أقبل اي قرش أستطيع الحصول عليه منه. أوضحت له ألاّ يتوقع مني الخسارة من جرّاء رعايتي لألكسندر. وسألته اذا كان نيكوس قد ترك أي شيء لتعليم إبنه، ولكنه نظر إلي بطريقته المعروفة، وكأنه يستطيع قراءة الأفكار، فأخذت أتحدث واستغرقني الحديث قاطعاً شوطاً أكبر مما قصدت. وصارحته بأني اضطررت الى إقتراض ثمن تذكرة الطائرة الى أثينا لحضور عيد الميلاد.»

وعرفت تشاريتي أنها لم تكن تعلم شيئاً عن المهانة حتى دخل لوكوس حياتها وقلب نظرياتها عن الحياة رأساً على عقب، بمجرد النظر اليها بعينيه السوداوين اللامعتين. والآن يهبط بها الى هذا الحضيض من العذاب بكشفه لمشاعر كولين الفاترة تجاهها. جمعت شتات نفسها لتقول له:

«قلت لك سأدفع أنا التكاليف!»

«ولكن اذا كان على إستعداد لأن يدفع.»

«لا يمكن على الاطلاق سأدفع أنا كل قرش.»

هز كولين كتفيه، متحيراً لغضبها الجامح وقال:

«لماذا لم تتكلمي معه، طالما لا توافقين على شيء قلته؟»

«لأنه يرفض المناقشة معي. أنه يوناني قبل كل شيء!»

«يبدو انك معجبة به لهذاالسبب.»

«أبداً، بل أعتقد أنني أكرهه. في كل حال ماذا يهم. إنه لا يستطيع أن يشترينا بأمواله اللعينة، وعندما يدرك ذلك سيتركنا وشأننا. ولن يبقى

سوى ألكسندر، بالتأكيد نستطيع اللجوء الى محام للقيام بأية ترتيبات متعلقة به.»

«أن ذلك يكلّف كثيراً.»

«لا يهمّني مهما كلّفني. لا أريد أن يكون لي أي شأن بعد الآن بلوكوس باباندريوس. هذا هو رأيي النهائي!»

«لقد دعانا الى شقته لقضاء عيد الميلاد وقلت بأننا سنأتي.»

«أوه، كولين، لا أريد الذهاب!»

«لماذا لا تريدين؟ ان لديه الامكانيات التي تجعل عيد الميلاد يوماً مشهوداً.»

«أفضل أن أقضي عيد الميلاد مع أناس أحبهم.»

حاولت تشاريتي التخلّص من حالة اليأس التي انتابتها بعد إدراكها أن كولين يشعر بالغيرة من ثروة لوكوس. ولكن لماذا يغار؟ أنها لا تعتقد أن لوكوس غني بالدرجة التي يتخيّلها كولين، وحتى لو كان غنياً، فهذا أمر لا يعنيها. كما لا يعني لوكوس أن يتولّى عنها ترتيب أمر زواجها.

تركت تشاريتي كولين في بهو الفندق، وتوجهت على الفور الى غرفتها. كانت في حاجة ماسة الى الجلوس مع نفسها لتدبّر الأمر. ماذا عليها أن تفعل الآن؟ من المؤكد أنها أخطأت بدعوة كولين للحضور الى أثينا. ولكنها لم تشك في أنها ترغب الزواج منه ولم يكن مهماً من الذي ستتزوجه طالما يعني ذلك ان لوكوس سيسمح لها بالحصول على ألكسندر. ولكنها كرهت الطريقة التي يجيل بها نظره في شقة لوكوس وحساب تكاليف كل شيء فيها. وقبوله أن يقوم لوكوس بترتيب أمر الزواج بدلاً منها كأنه في حاجة الى نوع من الرشوة للزواج بها. واذا رفضت الزواج، فان لوكوس لن يسمح لها أبداً بالحصول

على ألكسندر، ربما ستراه لفترة قصيرة مرّة كل عامين، لأنها غير قادرة على تكاليف السفر الى اليونان كثيراً. وهكذا ستفقد ألكسندر تماماً، ومعه آخر خيط يربطها بفيث.

أما لوكوس نفسه، فهي مصممة على ألاّ تفكر فيه على الاطلاق. وكان من السهل عليها إسترجاع الصورة التي رسمتها له في مخيلتها، البريق المشع لعينيه السوداوين، شعره الأسود اللامع، خشونة جلده الذهبي، لمسة الرجولة من يديه وتغيّر ايقاعها، فمرّة تكون صلبة ومرّة أخرى غاية في الرقة كأنها لمسة فراء. ولكن هناك أريادني تطلّ من فوق كتفيه، هذه الفكرة التي تجعلها تشعر بغيرة قاتلة.

وجاء يوم عيد الميلاد، ولا مفر من لقاء لوكوس مرة أخرى. فتحت لها أليكترا الباب. وأخذت تشاريتي تداعب الطفل، وفجأة أحست أن لوكوس قد خرج الى الردهة وأخذ يراقبها، اندفع الدم الى وجهها ولم تستطع أن تقول إلا:

«عيد ميلاد سعيد.»

«عيد ميلاد سعيد. هل ستضعين ألكسندروس في فراشه أم ترغبين في مداعبته قليلاً؟»

تحوّلت بعينيها بين ألكسندر وكولين الذي يبدو عليه عدم الرضى، ولم تستطع أن تنظر في وجه لوكوس على الاطلاق:

«أود حمله بعض الوقت، انه في حاجة للحب.»

«اذاً لنذهب الى غرفة الجلوس، أبواي ينتظرانكما لتناول الشراب.»

عندما اجتمعوا كان كولين هو الوحيد الذي يشرب من زجاجة الشراب التي احضرتها تشاريتي كهدية لحفل عيد الميلاد، أما البقية فكانوا يشربون الشراب الوطني.

قالت الأم ناظرة اليها بحنان وهي تحمل الطفل.

«انك مغرمة بالطفل وهو يشعر بذلك. جميعنا كبرنا بشكل لن نتحمّل أن يقلب لنا حياتنا رأساً على عقب. أفهمت لوكوس مراراً أن تأخذي ألكسندروس، بمجرد زواجك بالطبع.»

نظرت الى كولين نظرة متفحصة وقالت:

«هل ستتزوجيه؟»

«لم أقرر بعد.»

احتقرت نفسها لهذه الاجابة غير المحددة. لماذا لم تعلن التزامها وتنتهي من الموضوع؟ ما الذي يدعوها دائماً لأن تقول ربما، وأظن ذلك، بدلاً من كلمة نعم الحاسمة.

قالت كزينيا مبتسمة.

«من الأفضل للشباب الزواج من مواطنيهم لقد ارتكبت أختك غلطة بالزواج من غريب. أنني واثقة بأنك ستسعدين مع خطيبك الانكليزي.»

كانت أليكترا تقوم بترجمة حديث الأم، ولكنها بعد تردد قالت الجملة الأخيرة على النحو التالي:

«الطفل يوناني قد لا يشعر بالدفء والحب مع رجلك الانكليزي».

«سيكون معي أنا.»

جاء لوكوس ووقف خلفها ويده تمسك بذراع أليكترا:

«لن يذهب ألكسندروس الى إنكلترا. سيبقى معي، وتشاريتي تعرف ذلك تماماً!»

قالت تشاريتي محتجة:

«ولكن عندما أتزوج.»

لمس لوكوس خد الطفل برقة بالغة وقال:

«لقد قررت أن يبقى ألكسندروس في اليونان سواء تزوّجت. أم

لا. ان مكانه هنا معي. ولا مناقشة في ذلك بعد الآن.»

حاولت تشاريتي جهدها ألاّ تبكي. ما الفائدة اذا لم تستطع الحصول على ألكسندر. شعرت بيد لوكوس قوية على كتفها وحاولت الأبتسام.

«عندي لك هدية صغيرة لعيد الميلاد. أود أن أعطيها لك قبل الغداء.»

«لي أنا؟ لا أعتقد أنني أرغب في أي شيء منك.»

رفع حاجبيه في دهشة، ولم يقل شيئاً. أحست تشاريتي على الفور بأنها كانت فظة.

«أعني، أن الشيء الوحيد الذي أريده هو ألكسندر. لوكوس ان أمك على حق. لا مكان لطفل صغير هنا.»

«اذا كنت تريدين ألكسندروس فيجب عليك أن تقرّري البقاء هنا في اليونان.»

«ولكنني لا استطيع.»

«اذاً يجب عليك أن تتحملي الأمر كما هو.»

قالها برقة بالغة كما لو كان يرثي للمأساة التي تعيش فيها، أخذ يدها بين يديه وجذبها نحو الطاولة حيث كان الغداء قد أعدّ بالفعل، قالت له في يأس:

«ليس عليك أن تعطيني أي شيء. ان أمري لا يعنيك.»

قاطعها مبتسماً:

«انه شيء صغير للغاية. يمكنك القول انه ليس مني بل هدية من أبوللو.»

وأخرج من جيبه علبة صغيرة، تحتوي بروشاً ذهبياً صغيراً على شكل ورقة شجر.

لم تنفوه بكلمة، ولكنها حملقت في البروش كما لو كانت مذعورة

منه. وضعه على فستانها فشعرت بخوف وخطت للوراء وهي تخلّص البروش من يده، ويداها ترتعشان وتقوم بنفسها باغلاق المشبك. قالت هامسة:

«أنه جميل.»

«ألا تشكرينني؟»

ألقت نظرة سريعة على الحاضرين في الغرفة، ولكنها لاحظت عدم اهتمامهم بما يدور بينها وبين لوكوس. نظر هو الآخر عبر الغرفة في إتجاه كولين وأخذ يدها بين يديه.

«هذا هو حاميك له أن يعترض اذا شاء لماذا لا تشكرينني؟ هل أنت ناكرة للجميل؟ أو أن البروش لم يعجبك؟ أم أنّ أبوللو لم يعد له تأثير جارف عليك؟»

جذبها بقوة اليه واضعاً إحدى يديه على عنقها خلف شعرها، توهّجت عيناه، جفّ فمها وهي تتوقع ما سيحدث. يجب عليها اعتبار الأمر شيئاً عارضاً، تعبيراً عن شكرها على الهدية ثم تعود الى كولين وتنسى كل شيء عن الأمر، ولكن لم يكن الأمر كذلك، بل كان رقيقاً للغاية، قبّل عينيها ووجنتيها، فظنّت أن قلبها سيتوقف، ولكنه كان يهتز بين ضلوعها بقوّة معلناً عن شيء لم تكن راغبة في الاستسلام له، ليس هذا فقط بل خشيت أن يسمع هو هذه الدقات. قالت:

«أليس في ذلك ما يكفي تعبيراً عن الامتنان؟»

لم يعد لديها مقاومة لهذا السحر. أغلقت عينيها وأحست بأنها على وشك السقوط استندت بقوّة على الجدار، وهي لا تجرؤ على النظر اليه. وأخيرا ابتسمت له بغموض وقالت:

«كانت تلك من أجل أبوللو.»

«قولي ذلك لكولين.»

وجذبها من يديها وأجلسها الى جانب كولين الذي انشغل بشرح نظام الضرائب الانكليزي لأليكترا، التي لم تكتب في حياتها ورقة رسمية فلا حاجة لذلك طالما أن هناك رجلاً أو آخر في العائلة يقوم عنها بذلك.

سألها سبيرو فجأة:

«هل كان والدك ثرياً؟ كنا نتساءل عن عائلة فيث.»

«لا أعتقد أن هناك أي ثري في عائلة أرتشر.»

نظرت الى كولين الذي بدا عليه الضيق من أجابتها وابتسمت له قائلة:

«إننا لا نهتم كثيراً بالمال. أليس كذلك؟»

قال مداعباً:

«بل بالافتقار اليه».

ما ذنبها اذا لم تتحمل الاستماع الى كولين وهو يتحدث؟ لم يكن يهمها من قبل ماذا يقول. بل كانت تعتقد أنه ماهر جداً الى الحد الذي يجعله يفهم تماماً كل شيء، عن الاوراق المالية والسندات والأمور المالية. اذاً لماذا تشعر بالضيق الآن كلما فتح فمه ليتكلم؟

كان لوكوس يتحدث أثناء الغداء عن الطرائف التي تصادفه في عمله، هذه الصناعة التي تدرّ ثروات غير معقولة، وان كانت في بعض الأحيان تسبب خسائر كبيرة، عندما تغرق إحدى السفن أو تضيع أوراقها.

أحست تشاريتي بالراحة عندما جاء وقت انصرافها هي وكولين، وشعرت بالامتنان عندما قبلتها كزينيا وأليكترا في حرارة، وكأنها واحدة من الأسرة وليست مجرد أخت فيث. مدت يدها الى لوكوس الذي أخذها بين يديه ورفعها الى فمه.

كانت تشاريتي تشعر بالغضب، لأحساسها بأن لوكوس أصبح يعاملها وكأنه على معرفة حميمة بعقلها وجسمها. لماذا ينظر اليها وكأنه امتلكها!

كانت غاضبة من لوكوس مجرّد غضب ولكن كولين هو الذي كان جديراً بأن تصبّ عليه جام غضبها بعد انتهاء السهرة.

«ألا يهمك في شيء أن يعطيني البروش؟»

«إنه هدية جميلة.»

توقفت تشاريتي تماماً وقد وصلت خيبة الأمل الى ذروتها، كانت تودّ أن تشبعه ضرباً.

«أهذا هو كل ما يمكنك قوله؟ أنها قطعة ثمينة؟ أهذا هو كل ما يهمك؟ حسناً لم يكن هذا كل شيء، بل جعلني أتجاوب معه.»

«وماذا في ذلك؟ كنا جميعاً في الغرفة نفسها. وهذا لا يعني شيئاً. الناس هنا لا يتوقفون عن تقبيل بعضهم البعض، الرجال والنساء على حدّ سواء. بالاضافة الى أنّ هذا الأمر لا يهمّك، أليس كذلك؟»

«بل يهمّني، يهمني جداً، لو كانت لديك ذرّة من الرجولة لحاسبته. فأنا أنتمي أليك، أليس كذلك؟»

«إن كلاً منا يفكر في الزواج من الآخر، ولكنني لم أفكر على الاطلاق في انتمائك لي. واذا سألتني عن رأيي فإني أعتقد أنك تهولين الأمر أكثر مما يستحق».

«كلا، فهو يتوقع منك أن تحميني منه، وأنا أيضاً.»

«اذاً فهذه خيبة أمل. كنت مسروراً لأنه يرغب في ذلك. فهذا يجعلك في موقف أقوى. وخذي مني هذه النصيحة، يمكنك مسايرة لوكوس باباندريوس، كما تفعلين الآن تماماً. فقد علمت من حديث خالته عنه، أنه يحب الفتيات الجميلات كما أنه سخي معهن.»

حملقت فيه تشاريتي، ووصل غضبها الى الحد الذي يمنعها من الكلام، أجبرت نفسها على الحديث وهي تبكي:

«كولين، أنك لا تحبني على الاطلاق.»

«أوه، لا أعرف، كنت أعلم دائما أنني سأتزوجك في النهاية ولم أكن اتصور أن يتم ذلك بهذه السرعة، قبل دخول ألكسندر في حياتنا، كما أنني استحق شيئاً مقابل استعدادي بتولي أمره، لا بد أن هذا الرجل مثقل بالأموال، أوه تشاريتي لن نتشاجر، كما أنك لن تتشاجري مع لوكوس باباندريوس ايضاً، اذا كان يرغب في عناقك من آن لآخر، فأنني لا أعترض، طالما أنه سيقوم بترتيب زواجنا. ويمكنه أن يفعل ما يحلو له خلال الوقت القليل الذي سنمضيه هنا.»

انفجرت تشاريتي صائحة في وجهه:

«حسناً، أنا أعترض على ذلك، ليس هناك ما يدعوني للزواج منك فهو لن يعطيني ألكسندر سواء تزوجت أم لا. وأنا لا أريد أن أتزوجك، أنني أكرهك!»

ضحك كولين:

«سوف تتزوجيني يا تشاريتي أرتشر لأنني أعرف كيف أجعله يتخلّ عن ألكسندر.»

«انت؟ هل تظن أنك تستطيع الانتصار على لوكوس؟»

«أجل استطيع ذلك.»

٧ ـ القـــرار

قالت تشاريتي لنفسها، ربما كان قضاؤها لعيد الميلاد خارج انكلترا، هو الذي يصيبها بالتوتر. مضت أربعة أيام منذ آخر مرّة رأت فيها لوكوس ومع ذلك لم تستطع إبعاده عن فكرها. لماذا قبّلها؟ لقد كانت تتصرف بصورة مقبولة قبل ذلك. صحيح كان لوكوس رجلاً أجنبياً جذب انتباهها، ولكن لم يكن تلك الشخصية الآمرة التي تجعلها مثل آلة في يده، تستجيب لكلّ لمسة خفيفة منه. حاولت أن تفكّر في كولين، ولكنها وجدت أنها تفضل ألاّ تفكر فيه أبداً. كانت معجبة بكولين، مثل والدها، ولكن هذه اللحظة كانت تشعر بنفاد الصبر ازاءه. ومع ذلك فهي لا تريد أن تستعديه. لأنه جواز المرور الوحيد لديها للحصول على ألكسندر. لقد قال إنه سيتغلب على لوكوس في التفكير ويأتيها بألكسندر. وتتزوجه، بالطبع ستتزوجه، وبعد ذلك سيسير كل شيء بشكل طبيعي...

لم تر كولين طوال الأيام الأربعة الأخيرة، وكان باختيارها من ناحية، ووفق رغبته هو من ناحية أخرى، كما أنها لم تر أحداً من عائلة باباندريوس. نزلت الى صالون الفندق للبحث عن كولين وأحست بسعادة طاغية وهي تراه هناك. حيّته مداعبة:

«مرحباً أيها الغريب».

«إعتقدت أنك لا ترغبين في رؤيتي، وأنت تقضين وقتك عابسة في

غرفتك».

«لست عابسة. حاولت اتخاذ قرارات حول بعض الأشياء».

«وأعتقد أنك إتخذت هذه القرارات بالفعل، عندما طلبت مني الحضور لمساعدتك، أما قراري فهو أن أخفّ الى نجدتك. وأعتقد أننا لن نواجه الصعوبات في طريقنا. لذا سيكون من الأفضل لك مسايرة لوكوس. ولكنني لا أريد أن يشكّ في شيء».

«ولماذا يشك؟»

«من الأفضل ألاّ تعرفي كل شيء. فقط وافقي على اقتراحاتي واتركي الباقي لي!»

«ولكنني خائفة يا كولين».

«يا إلهي. أنا أعرف أنه يقلب كيانك، ولكنني لا أعتقد أنك تفضلين قضاء بقية حياتك معه. ان القليل من القبلات لا تهم على المدى الطويل، فسيكون لديك ألكسندر ليسرّي عنك، فكّري في الأمر».

«وأنت؟»

«عندما نعود الى لندن، سأتشبث بكليكما».

«تعني انك تحبني؟»

«ألم أكن كذلك دائماً؟ اهدأي يا تشاريتي، ليس هناك ما يدعو للقلق بعد الآن».

«ولكنني قلقة بالفعل».

«قلت لك لا داعي. كل ما عليك هو أن تتركي كل شيء لي. أليس هذا سهلاً للغاية؟»

«يكون الأمر سهلاً لو كنت أحبك، ولكني لست واثقة الآن. إنّ الأشياء تبدو مهتزة أمامي. في إنكلترا ظننت أني أحبك».

ضحك كولين وقال:

«أن هذا ليس بالأهمية التي تتخيّلينها. ان هذا النوع من الحب لا يدوم طويلاً. سترين كيف سنستقرّ معاً ونكون سعداء. ليس هناك أفضل من الحصول على المال، وسنحصل عليه اذا تركت الأمر لي».

أفزعتها هذه النظرة المكشوفة للحياة، لدرجة أنها لم تفكر في سؤاله من أين سيأتي هذا المال. وبدأت تحس بالندم لمغادرتها غرفتها للبحث عن كولين. وعندما قيل لها انها مطلوبة على التليفون، أحسّت براحة أخافتها. هل ترغب بالتأكيد في أن تتخلّص من كولين الى هذا الحد؟

ومما زاد الأمر سوءاً، أنها عندما سمعت صوت لوكوس على الطرف الآخر من التليفون، أحسّت بقلبها وكأنه سيخرج من صدرها، وأنه لو كان موجوداً في تلك اللحظة أمامها، لما استطاعت أن تمنع نفسها من الارتماء بين ذراعيه. قالت وهي تحاول إخفاء حالة اليأس التي تشعر بها:

«لقد اتصلت بك تليفونياً لأشكرك على إستضافتنا في عيد الميلاد، وردّت عليّ أليكترا».

«أعلم ذلك فقد أبلغتني. لأنني كنت خارج أثينا خلال الأيام القليلة الماضية، وأنا الآن هنا تحت تصرفك لتشاهدي المدينة. ألا تحبين ذلك؟»

«نعم».

«نعم فقط؟»

«ماذا تريد أن أقول؟»

«يمكنك أن تقولي أنك إفتقدتني، وأنك تتطلعين لرؤيتي».

كان ذلك أقرب شيء للحقيقة، والتزمت الصمت لا تقوى على التنفس، وهي تأمل أن يكون ذلك تشجيعاً كافياً له للاستمرار في الحديث، وقد فعل:

«سأمر لمقابلتك عند برج الرياح. إحضري معك كلب الحراسة».

«لا أدري إذا كان كولين يرغب في المجيء أم لا».

ردّ لوكوس بثقة غير متوقعة:

«سيأتي».

«لا أدري».

«قولي له أنك تخشين وجودك معي بمفردك. أن ذلك لن يقلق ضميرك لأنها الحقيقة».

لم تحب تشاريتي أن تقول له أنها أبلغت كولين بالفعل شيئاً يشبه ذلك.

«كيف ـ كيف لك أن تعرف؟»

ضحك وقال:

«سأقول لك اليوم».

لحسن الحظ أن كولين كان راغباً في الخروج معها. كانت سعيدة لأنهما وصلا الى برج الرياح قبله. إنّ رؤية البرج أعادت لها ذكريات جارفة عن المرّة الأولى التي رأت فيها لوكوس، وهو يمشي مثل أبوللو متجهاً نحوها. لم تلحظ لوكوس في بادئ الأمر.

«لقد أوقفت السيارة عند قمة الدرج، أسرعي يا تشاريتي بالصعود. أنّ الجو بارد هنا ومعطفك هذا ليس ثقيلاً بدرجة كافية. سأنتظر أنا كولين».

أسرعت تشاريتي بصعود الدرج، وهي لا تنظر خلفها حتى لا ترى كيف سيحيّي كولين لوكوس. ولا تريد أن تحسّ بالخجل منه مرّة أخرى. دخلت تشاريتي الى الجزء الخلفي من السيارة وهي تلهث، تاركة المقعد الأمامي لكولين. كانت تريد أن تجد الفرصة لعقد مقارنة بين الرجلين بدون أن يعلما بذلك، رغم علمها أنه لا فائدة من

تلك المقارنة، لأنها تعلم بالفعل أن كل حيوية ورجولة كولين لا شيء في ظلّ الجاذبية الهائلة للوكوس.

دخل الرجلان الى المقاعد الأمامية للسيارة بدون النظر اليها. كان كولين يضحك قليلاً وهو يقول:

«هذا جميل منك يا سيد باباندريوس، لم تكن تشاريتي ترغب في مشاهدة الآثار، فهي لا تهتم كثيراً باليونان، ولكنها يجب أن ترى منها قدر ما تستطيع قبل العودة الى انكلترا، الا ترى ذلك؟»

«ان أمامها متسعاً من الوقت».

ضحك كولين مرّة أخرى وقال:

«لا يمكنني الاستغناء عنها طويلاً».

«لا يمكنك؟ ولكنها ستأتي الى اليونان كثيراً لترى ألكسندروس، لقد كنت أودّ التحدث معك في هذا الموضوع. بالطبع نفقات السفر مدفوعة كلما حضرت».

«هذا جميل منك. ولكن لا أظن أنّ هناك ضرورة لذلك، إذا لم تسمح لها بأن تأخذ الطفل. وأعتقد أنه يجب الانتهاء من هذا الأمر برمته لصالحنا جميعاً. إن تشاريتي يصيبها الانزعاج بسهولة».

«اذاً فعلينا ألاّ نسبب لها انزعاجاً بقدر الامكان. سنناقش هذا الأمر في وقت آخر».

فزعت تشاريتي. لو أنها تستطيع فقط أن تثق في كولين، لما إهتمّت بأن تترك له هذا الأمر، ولكنها لم تكن واثقة من أنه يريد ألكسندر أو أي شيء متعلّق به. قالت من الخلف:

«أريد أن أكون موجودة عند مناقشة الموضوع».

قال لوكوس بهدوء:

«لا أظنّ ذلك».

«ولم لا؟»

إبتسم لها في مرآة السيارة وقال بمنتهى الهدوء:

« كولين سيتحدث بالنيابة عنك في عدم وجودك. سنكون أكثر حريّة في مناقشة الأمر، يجب أن تدركي ذلك يا تشاريتي. اذ كيف يتسنى لكولين أن يقول ما يريده، خاصة إذا علم انك تريدين شيئاً مختلفاً، وعندئذ تظنين أنه غير مخلص لك؟»

«ولكنه يريد ما أريد».

«اذاً فليس هناك ما يدعوك للقلق».

لا فائدة من الجدال معه. والتفتت الى كولين، ولكن الكلمات ماتت على شفتيها عندما رأت تعبير المرح على وجهه. قالت له في عصبية:

«هل ستوافق على إستبعادي من مناقشة الأمر؟»

«اذا كانت هذه هي الطريقة اليونانية لقضاء الأمور، فلا أرى داعياً للاعتراض، أنك لا تجعلين الأمور تسير في يسر أمامي يا تشاريتي. كل شيء سيكون على ما يرام».

كانت تشاريتي تلاحظ نظرات لوكوس الجانبية الساخرة الى كل منهما. لم تكن تعرف ما الذي يجعله واثقاً من أن الأمور ستسير على هواه، انها تعرف أنهما سيفعلان في نهاية الأمر كل ما يريده لوكوس. وكان الأجدر بها أن تكون غاضبة من هذا اليوناني، ولكنها لم تكن كذلك، لقد شعرت بالغضب نحو كولين الذي بدا معتداً بنفسه وواثقاً منها.

إلتقت عيناها بعيني لوكوس في مرآة السيارة، كانت تعرف انه يقرأ أفكارها. وتأكد لها ذلك عندما قال:

«إذا قررت امرأة الارتباط برجل ما، يجب عليها أن تثق في أنه سيرعى

مصالحها ويحميها. لذا فإننا في اليونان، نبحث الأمر جيداً قبل أن نسمح للرجل بالزواج من امرأة في عائلتنا».

قالت بثبات:

«في إنكلترا نختار أزواجنا بأنفسنا».

«انني لا أقرّ ذلك، فالمرأة لا يمكن أن ترى الرجل على حقيقته كما يراه رجل آخر».

«ربما لا ترغب هي في ذلك!»

«هكذا؟ يبدو لي هذا نوعاً بارداً من الحب. ان امرأتي يجب أن تهب نفسها لي تماماً، لا أن تتعامل معي بمثل هذا الفتور. ما هو المستقبل اذاً بدون ثقة؟»

«واذا كان الرجل غير جدير بهذه الثقة؟»

«من الأفضل إكتشاف ذلك قبل الالتزام بأي شيء. أعتقد أن كولين يتفق معي في الرأي».

وشعر كولين أنه لا بدّ أن يقول شيئاً:

«إننا نعرف بعضنا بطريقة أفضل في إنكلترا، فأنا أعرف تشاريتي منذ أعوام».

«نعم قلت لي ذلك من قبل. وأن والدها وافق على خطبتها لك. من الأفضل لها أن تعرف أن هناك من يحميها».

إحمرّ وجه كولين لشعوره بالذنب. نظرت إليه تشاريتي وهي تتساءل كم من الادعاءات نسبها لنفسه وقال عنها للوكوس. هذا جانب جديد مشين تعرفه عنه.

بعد أن قام لوكوس بسرد احدى الأساطير اليونانية حول أحد الهياكل رأت كولين يبتعد متوجهاً الى أحد المطاعم. كم ودّت لو أنها صحبته بدلاً من تركها وحيدة مع لوكوس. دار بينهما حديث تطرّق

الى أريادني ووجدت نفسها تقول له:

«ماذا عن فتاتك أريادني».

«فتاتي؟ إنّ أريادني ليست فتاتي. لا تصدّقي ما يشار من إشاعات».

«أنت تعرف تماماً ما أعني».

دخلا الى الهيكل وراحا يتفحصان بعض الكتابات على جدرانه، إقترب منها حتى شعرت بأنفاسه على خدها. حاولت الابتعاد، ولكنه أمسك برسغها في يده وجذبها اليه:

«ما الذي قلته بشأن أريادني؟»

«لا شيء».

ضغط بشدّة على رسغها وقال:

«اذا كنت ترغبين في معرفة شيء عني، ما كان عليك إلاّ سؤالي أنا وليس خالتي».

«لم أسأل أليكترا».

«ولكنها قالت لك شيئاً. ماذا قالت؟»

«لن أخبرك. لا يعنيني في شيء ماذا تمثّله لك. هذا شيء لا يهمّني على الأطلاق».

«حقاً؟ أظن أن أليكترا قالت لك أنني كنت في نافبليون خلال الأيام القليلة الماضية وأن أريادني كانت معي؟»

هزّت تشاريتي رأسها نفياً. وأحسّت بشيء يثقل قلبها وودّت لو انه لم يخبرها أين كان.

«كلا: لم تخبرني».

«اننا ندين لعائلة أريادني بشيء ما، ولكن ذلك لا يجعل منها فتاتي، أرجو أن يكون ذلك مفهوماً».

ان تشاريتي تفهم ذلك جيداً. ألم تخبرها أليكترا أنه لن يتزوج أريادني مطلقاً؟

ما الذي يدعوه للزواج منها. لقد حصل بالفعل على كل شيء يريده منها. جذبت ذراعها منه بشدّة وأسرعت الى الناحية الأخرى من الهيكل قال بلهجة آمرة:

«تعالي هنا يا تشاريتي».

ترددت. نظرت اليه بعصبية، وقد أربكها بريق عينيه.

«لماذا؟»

«تعالي هنا يا تشاريتي وستعرفين».

كان صوته ضاحكاً، مشت اليه ببطء وقالت:

« لوكوس! أنا أعرف انك لا تحب كولين. ولكنك قلت أنك لن تلمسني».

قال مذكّراً إيّاها:

«فقط عندما تكونين وحيدة وليس هناك من يحميك. ولكن يوجد كولين الآن...»

«لقد ذهب الى الكافيتيريا».

«وتركك لي. تماماً كما كنت أتوقع منه».

بعد ذلك، كان عليها أن تتذكر أنها لم تأت بحركة لتمنعه من إحتوائها بين ذراعيه. لمسها عند كتفيها وذاب الذعر في داخلها وتحوّل الى سعادة.

أغمضت عينيها وتركت نفسها لعناقه بشغف وجذبها هو بشدّة. وعندما تركها كانت على وشك السقوط لولا انه وضع يده تحت مرفقها.

«هل ستخبرين كولين؟»

«ما الذي يدعوني لذلك؟ هذا لا يعني شيئاً».

جذبها اليه مرة أخرى وعانقها، ليس برقة كما كان يفعل من قبل، بل كأنه يريد أن يثبت لها من منهما السيد ومن المسود أحسّت بضلوعها على وشك أن تتكسر.

«أرجوك يا لوكوس، إنك تؤلمني».

«لا شيء؟ ألم يعن ذلك شيئاً؟»

هزّت رأسها وهي تمسح دموعها بظهر يدها.

«لماذا أجرح كولين باخباره؟»

وضع يده تحت ذقنها، ليجبرها على النظر اليه:

«كان يجب عليه أن يرعاك بطريقة أفضل مما فعل. ماذا تفيدين من رجل كهذا؟»

«انه طيّب، ويعاملني كانسانة، لا كشيء، لا يصلح إلاّ للعناق».

«وهل هذا فقط هو ما يرضيك؟»

كانت نبرة الاحتقار تملأ صوته. إبتعدت عنه مسرعة نحو الكافيتيريا وكولين وأتاح له طول ساقيه أن يلحق بها.

«دعني وشأني، ما الذي يعنيك مما أفعل؟»

«انك تريدين ألكسندروس».

توقفت تماماً:

«نعم، أريد ألكسندر، متى ستتخذ قراراً بشأنه؟ إنّ والديك أكبر من أن يقوما على تربية طفل، مهما كانت رغبتك في أن يشبّ يونانياً».

«هذا صحيح، ولكن هل تعتقدين انه من الأفضل له أن يكون مع كولين؟ انه في رأيي لا يصلح أن يكون عاشقاً، فهو يسمح لك بمغازلة رجال آخرين، بل لا يمانع أن تكوني هدفاً لقبلاتهم».

أسرعت أنفاسها لفرط شعورها بخيبة الأمل لأن كولين لم يبق معها في الهيكل. قالت صارخة:

«ان ما أفعله من شأني وحدي».

رفع حاجبه في دهشة وقال متهكماً:

«اذاً فمن المناسب لك أن تختاري كولين، لأنك لن تتجرّأي على التفوه بمثل هذا الكلام لي».

جذبت عينيها بعيداً عن بريق عينيه، أولته ظهرها وتوجهت الى الكافيتيريا تبحث عن كولين. لم يحاول أن ينظر اليها وهي تجلس الى جانبه وتصب لنفسها فنجاناً من الشاي، سألته:

«لماذا تركتني مع لوكوس؟»

«اعتقدت أن ذلك لن يضايقك. وأنك قد تستمتعين بحديثه أكثر من استمتاعك بصحبتي».

«حسناً، انني لا أستمتع. أنا لا أحبه على الاطلاق. كولين ارجوك تحدّث اليه عن ألكسندر بأسرع ما يمكنك حتى نعود الى إنكلترا، فأنا لا أريد أن أبقى هنا لحظة اخرى».

هَز كتفيه:

«هذا يناسبني».

إستمر في تناول قطعة الكعك التي كانت في يده، في نفس الوقت الذي دخل فيه لوكوس متوجهاً نحوهما، لكزته تشاريتي برجلها من أسفل المنضدة، وهمست:

«حاول أن ترتّب معه موعداً الآن، وإلاّ فلن نتمكن من ذلك أبداً».

حوّل وجهه ناحية لوكوس وقال:

«هل يمكنني الحضور لرؤيتك غداً يا سيد باباندريوس؟ تشاريتي تريد قراراً نهائياً بصورة أو بأخرى، وانني أتفق معها، لا يمكن لنا الانتظار هكذا الى الأبد».

أخذ لوكوس ينتقل بنظراته من أحدهما الى الآخر وقال:

«حسناً، سوف أراك غداً في الساعة العاشرة والنصف في مكتبي، هل يناسبك ذلك؟»

بدا كولين فجأة سعيداً بنفسه:

«هذا مناسب تماماً».

غمز بعينه لتشاريتي وقال:

«ماذا ستفعلين أنت يا حبيبتي».

«لا أعرف، اعتقد أنني سأذهب الى دافني لأرى الدير هناك».

قال لوكوس:

«استقلي تاكسي، هناك باصات ولكنّ المحطة بعيدة عن الفندق. وربما يناسبك بعد ذلك أن تتناولي الغداء في شقتي لتري الطفل».

قال كولين مقطباً:

«قد تحب تشاريتي ذلك، ولكنني لا أظن أنني سأفعل، فلديّ أشياء أخرى يجب قضاؤها».

تعجبت تشاريتي في ضيق. أية أشياء؟ كل ما تمنته هو ألا يضيف لوكوس هذا الى مساوئه. انها ترى بوضوح أنه لا يحب كولين ولا يعتقد انه رجل مناسب ليعيش الطفل معه. كانت متأكدة انه لن يسمح لهما بأخذ ألكسندر. وماذا ستفعل حينئذ؟ لا يمكنها أن تتزوج كولين هكذا بدون مقابل. في الواقع بدأت تعتقد أنها لا يمكن أن تتزوج كولين مهما كان قرار لوكوس.

٨ ـ امرأة بيتي

ذهبت تشاريتي الى دافني في الأوتوبيس. كانت تتعمّد القيام بنوع من التحدّي عارفة أنه صبياني، مع ذلك شعرت بنوع من الراحة، ولعلمها أنها لن ترى لوكوس، زيّنت صدرها بالبروش الذي أهداه لها. وكان منظره جميلاً ومتّسقاً مع السترة الصوفية الحمراء التي ترتديها.

صاح المحصّل:

« دافني!»

بدأت في شقّ طريقها نحو الباب تنتظر فتحه، وأضاف المحصّل مشيراً بيده عبر الطريق الى طريق جانبي:

«سيدتي، ها هي دافني!».

كان ما شعرت به تشاريتي للوهلة الأولى هو الاحساس بخيبة الأمل. هل هذا يمثل الفن البزنطي؟ يبدو مظلماً وكئيباً ولكن بمجرد دخولها، لمحت على الفور اللوحة الشهيرة للمسيح المصنوعة من الفسيفساء. لقد بدت التماثيل على ضوء الشموع وكأنّ الحياة توشك أن تدبّ فيها.

عندما نظرت في ساعتها، دهشت تشاريتي للسرعة التي مرّ بها الوقت. لم يخطر ببالها طوال الصباح لقاء كولين مع لوكوس. ولكنّها بدأت تفكر فيه الآن. كم ودّت أن يكون لها دور خاص في

الحياة، وليس مجرد دور الخادمة لكل فرد في عائلتها. وها هي الآن، تبذل كلّ ما في وسعها لتفوز بحضانة ألكسندر، حتى الى درجة الموافقة على الزواج من أجل الحصول عليه. فالزواج من كولين امر لم يخطر على بالها بالمرّة، ترى أي نوع من الحياة ستعيشها؟ أحسّت بقشعريرة البرد وبالظلام داخل الكنيسة، وودت لو أنها لم تفكر في ذلك الآن.

جلست عند أحد الأعمدة الأثرية في الخارج. وتركت الهدوء الذي كان يلف المكان يتسلل الى داخلها. ولذلك فزعت عندما رأت شخصاً يسير فوق العشب متوجهاً إليها، واتضح لها أنه لوكوس.

هبّت واقفة وهي تصلح من التعبير الذي بدا عليها، حتى لا يلاحظ لوكوس حالة الرثاء النفسي التي إنساقت اليها. ولكنها لم تستطع بالطبع أن تخدعه لحظة. سألها:

«هل تفكرين في كولين؟»

«أجل، بصورة أو بأخرى».

«حسناً، اذاً لقد حان الوقت لأن تفكري في أبعد من مجرد حفل الزواج».

حاولت إخفاء الاحساس بالنفور تجاه أي علاقة أوثق بكولين.

سألته بدون أن تنظر اليه تماماً:

«هل ستسمح لنا بأن نحصل على ألكسندر؟»

قال وهو يمدّ يديه اليها لتضع يديها بينهما بحركة غريزية:

«كلا، لا يمكنني يا تشاريتي أن أترك لكولين الكلمة الأخيرة في تنشئة الطفل. أنه لا يريد الطفل لذاته».

قاطعته تشاريتي:

«لأي سبب تعتقد أنه يريده؟»

ظلّ صامتاً لفترة طويلة، ثم قال أخيراً:

«ربما يريده لأن ذلك يهمك كثيراً؟»

ولكن تشاريتي هزّت رأسها.

«إنه لا يفهمني على الاطلاق».

وانفجرت قائلة، وهي تدرك أنها تنطق لنفسها بالحقيقة:

«انه لا يعنيه شيء من أمر فيث ويستوي في نظره أنها أختي، أو أن ألكسندر في حاجة الى إنسان من دمه ليرعاه!»

جلس لوكوس على أحد الأعمدة المجاورة ونظر اليها مفكّراً وقال:

«اذاً؟ هل سألت نفسك لماذا يريد كولين الحصول على ألكسندروس؟ لقد كان يلحّ عليّ في ذلك عندما تقابلنا هذا الصباح بشكل دائم».

قال الجملة الأخيرة مع اشارة من يده تدل على ضيقه بذلك الرجل:

«لا أعتقد أنني أريد التفكير في هذا الأمر. كل ما هنالك أنك لا تريد أن آخذ الطفل لمجرد أنك لا تحب كولين».

«هذا غير صحيح. قد أسمح لك أنت بأخذ الطفل، ولكن أكرر لك مرة أخرى أن كولين شيء آخر. انه لن يكون متعاطفاً مع الجزء اليوناني من الولد».

ثم نظر بثبات في عيني تشاريتي وقال:

«اننا لن نناقش هذا الأمر يا عزيزتي. لقد اتخذت قراري وعليك أن تقبليه».

«ولماذا يجب عليّ أن أقبله؟»

إبتسم وقال:

«لأنني أعتقد أنه من الأفضل لك أن تعملي على إرضائي، بدلاً من تعمدّ مواجهتي. أليس كذلك يا فتاتي تشاريتي؟»

«كلا بالطبع».

«كم أنت مصمّمة على خداع نفسك، ولكنك لا تخدعينني».

ومدّ يده ليتحسسّ البروش الذي أهداه لها قائلاً:

«لو كنت امرأة بيتي للقنتك درساً عن واجبك تجاه الرجل الذي تنتمين اليه».

نظرت اليه في ذعر وقالت بسرعة مذكّرة اياه:

«ان كولين ليس معي الآن! لقد وعدتني يا لوكوس».

قام بحركة من رأسه تنم عن الاحتقار وقال:

«ان من إخترته حامياً لك لم يفعل شيئاً عندما كان معك».

«يمكنني أن أحمي نفسي».

قالت ذلك والدم يندفع الى وجنتيها في حرارة، لأنها تدرك تماماً أنها لم تحسن القيام بهذه المهمة، عندما كان الأمر متعلقاً به. ويبدو أنه هو الآخر كان يفكر في الشيء نفسه عندما قال:

«لو أنك امرأة بيتي، لما سمحت لرجل آخر أن يقبّلك ويظلّ على قيد الحياة. ولما سمحت لك بعناق رجل آخر».

«ولكنني لم أفضل أنك أنت الذي...»

قاطعها بجفاء:

«بلا شك، كان يجب عليّ أن آخذ في حسابي ممانعتك الواضحة».

لم يكن من حقه أن يقرأ أفكارها هكذا وكأنه إمتداد لشخصيتها. ولكن من المستحيل أن تترك له الكلمة الأخيرة في ذلك:

«أنا لا أفهم ماذا يعني التعبير امرأة بيتي».

وضع يده أسفل ذقنها، حتى يرغمها على النظر الى البريق الأسود في عينيه قال:

«لا تعرفين؟ انه شيء ستحبينه كثيراً».

لكزته بقدمها ودقات قلبها تعصف من اللوعة المؤلمة.

«أنك لا تعرف أي شيء عما أريد!»

ضحك في مرح لا يخلو من الطيبة ثم قال:

«أنت تريدين ما تريده معظم النساء، تريدين رجلاً تحبّينه بلا خجل، رجلاً يشعرك بأنه يمتلكك وتشعرين بمتعة في ذلك، هل يمكن أن تلقي هذه العذوبة التي تنبض بها روحك الى مثل حبيبك هذا الهش؟ لا أعتقد ذلك!»

قالت في محاولة منها أن تكون أكثر وضوحاً:

«كنت أريد ألكسندر».

«والآن وأنت تعلمين أنك لن تحصلي على ألكسندروس، لن توافقي بعد الآن على الزواج من هذا الرجل أليس كذلك؟»

«لا أظن أنني سأتزوجه. انه لا يتصرف مثلما كان يفعل في إنكلترا».

«اذا كنت ترغبين في الحصول على ألكسندروس، هناك حلّ واحد يمكّنك من ذلك. هل توافقين على أن تمكثي هنا في اليونان وتتزوجيني؟»

ارتفع الدم الحار الى وجنتيها:

«ولكنك لا ترغب في الزواج منيّ! انك تريد امرأة لا يهمّها أن تتكمش وتتحول الى مجرد امرأة بيتك. امرأة يونانية، وأنا أريد أن أعيش حياتي على طريقتي الخاصة».

«اذاً فالاختيار لك».

ورمقها بنظرة متعجرفة دون مبالاة وشعرت بألم عميق:

«اذا تزوجتك، هل ستدعني أحصل على ألكسندر»

أومأ لها موافقاً:

«أعدك أن أدعك وشأنك اذا حصلت على ألكسندر. ولكنني لا أعرف ما الذي يجعلك ترغب في الزواج منيّ».

«أحقاً لا تعرفين؟ اذاً إتركي لي ذلك فهو أمر يخصني. ولكن السؤال

المهم هو أن أعرف هل تعتبرين رغبتك في الحصول على ألكسندر ثمن الموافقة على الزواج».

كان إستخدامه للاسم الانكليزي لابن أختها مفاجئاً، مما جعلها ترفع اليه عينيها بسرعة. نفذ البريق الدافىء من عينيه الى قلبها. هي ليست حمقاء الى درجة الافتراض بأنه يحبها، وأنّ عليها أن تغمض عينيها عن أية علاقات يسمح بها لنفسه، علاقات مثل تلك التي سعد بها مع أريادني. إنّ غيرتها ستؤلمها وتذلّها. ولكنها على الأقل ستكون زوجته. وهو لن يسمح لها بمثل الحرية التي يسمح بها لنفسه. اذا تزوجته فلن يكون أمامها إلاّ أن تتبعه أينما ذهب. هل هذا هو ما تريده؟

إستدارت اليه فجأة وقالت:

« لوكوس، أنت تحبني ولو قدراً ضئيلاً أليس كذلك؟»

لفّ ذراعه حول خصرها وجذبها اليه:

«نعم يا امرأة بيتي أحبّك قليلاً. ستشعرين بالأمن تماماً معي لأنني قادر على رعاية من يعيش في كنفي».

أحنت رأسها الى كتفه وأحست براحة لم تتوقعها، تركها في هذا الوضع فترة طويلة، وأحسّت بالعرفان لتقديره شعورها.

«والآن يا امرأة بيتي هل نوقّع على الاتفاقية بقبلة؟»

تنهدّت تشاريتي بعمق وقالت بصوت آخر غير صوتها:

«سأتزوجك من أجل ألكسندر. وذلك لن يكون بالأمر السهل على كلينا. لكنّ مستقبل ألكسندر يجب أن تكون له الأولوية أليس كذلك؟»

«هو كذلك اذا كنت ترغبين في التفكير في الأمر على هذا النحو».

لقد أحسّت بالأمر وكأنه عملية تجارية لا دخل فيه للميول الشخصية. لو أنه قال لها انه يحبها، ولكن لا فائدة من التطلّع الى

المستحيل. مضت قائلة وهي تحاول ألا تبدو غير واثقة مما تقول:

«ينبغي عليّ أن أبلغ كولين. هل قال لك أي شيء هذا الصباح؟»

«سيكون ذلك سراً بيني وبينه. لو كنت مكانك يا عزيزتي لذكرته بأنه لم تكن هناك خطوبة حقيقية بينكما، ولذلك لست مدينة له بشيء. فهو لن يتورّع عن الاستفادة من أي بادرة ضعف يراها فيك. ولو حدثت أية متاعب يا تشاريتي، عليك أن تبلغيني تليفونياً على الفور، وعندئذ سوف أوضح له تماماً أنه أصبحت لك الآن عائلة».

نظر إليها وتابع:

«أصارحك القول، لو أنك امرأة يونانية، لما تركت لك هذا الأمر. ولكنك ستكونين معه أكثر طيبة مني. بالاضافة الى أنك أنت التي أحضرته الى أثينا وأثرت فيه الآمال».

قالت مداعبة:

«قد أستمتع بوداعي له».

إنفجر ضاحكاً:

«أنا لا أخشى ذلك. لقد خلقت ليكون عليك شعار أبوللو».

لمس دبوس البروش على صدرها:

«انني أتزوجك فقط من أجل ألكسندر!»

أمسكها من ذراعها، وأصابعه تضغط على لحم ذراعها.

«لقد قدّر عليك أن تكوني امرأة بيتي، سواء كان هناك ألكسندر أم لا. سوف أجعلك تعترفين بهذا في أحد الأيام».

«لن يحدث هذا مطلقاً. المرأة تحتاج الى أكثر من».

قطع عليها كلامها بحركة جعلت تلك الكبرياء التي بدت عليها تتلاشى. ما الذي يمكن أن تفعله اذا علم كم هي تريده؟ قال:

«ان المرأة تريد رجلاً يتعلق بها ويدللها، كما سأتعلّق أنا بك وأدلّلك

واذا حصلت على ذلك، فيجب عليها أن تشعر بالرضى عن الحياة التي كفلها لها زوجها».

«ولكن هذا ظلم!».

قالت ذلك وهي تشعر بالثورة لأن لوكوس مقتنع أنها ستسمح لنفسها أن تكون تابعة له بقية حياتها.

ابتسم لوكوس، وعانقها من جديد وهو يحسّ احساساً كاملاً بمتعة جعلت من المستحيل عليها أن تفكر في شيء سوى مبادلته لمسته القوية. اقترب جسمها منه بنفس الحرارة وشعرت بلمسة يده تداعب شعرها، وتنزلق على كتفيها. صاحت وهي تحسّ بالهزيمة.

«أوه، لوكوس».

أزاح خصلة من شعرها من فوق جبينها ونظر اليها بامعان قائلاً:

«هل كان يرضيك أن اكون أقل رجولة. أو أن أشاركك في أفكارك الباردة، حول كيفية معاملة الرجل للمرأة؟ ولكنني يوناني يا عزيزتي وأفكارنا عن الزواج تختلف عن أفكاركم. فالمرأة اليونانية لا تناقش حق زوجها في أن يكون سيداً في بيته. هل هذا مفهوم؟»

أخفت وجهها في صدره وهي تحس برغبة في عناقه مرة أخرى:

«هل كان من الضروري أن تقول ذلك صراحة؟»

«نعم. فأنا لا أريد أن تفولي فيما بعد أنك لم تعرفي. فاليونان ليست ذلك البلد المتحرر مثل مجتمعكم في لندن. عندما يتم الزواج بيننا يجب أن نستمر زوجين مهما حدث. هل أنت على استعداد أن تكوني زوجة يونانية، وأن تضعي مستقبلك بين يدي؟»

«أجل... أجل... أجل، أوافق على أي شيء تريده!»

أبعدها عنه، وابتسامة صغيرة تلوح على شفتيه:

«هل كان من العسير عليك أن تقوليها؟»

«لم يكن ذلك ضرورياً»

جذبها اليه مرّة أخرى وقال:

«ربما لم يكن ضرورياً، ولكنني أعتقد من الأفضل الوضوح. فقد تعلّمت الشيء الكثير من تجربة فيث ونيكوس. فهي لم ترضخ له أبداً، ومع ذلك لم يؤد بها هذا التحدّي الى السعادة. وأنا لن أسمح بمناقشة قرار لي أو بالتشكك فيه، ولن أسمح لزوجتي بأن تتعس نفسها وأن تفكر في الهرب وهي تتصوّر أنني أوافق على ذلك. انني لن أرضى لزوجتي ألاّ تعرف أن مكانها هو انتظاري في البيت حتى أعود اليها».

قبّلها على وجنتيها ثم عينيها وتمتم شيئاً باليونانية لم تفهمه، ومع ذلك وجدت فيه شعوراً بالراحة، ولم تستطع إلاّ أن تقول:

«لقد تأخرنا. ألا تنتظرنا أليكترا على الغداء؟»

قبّلها للمرة الأخيرة وقال مداعباً وهو يربت على مؤخرة عنقها:

«هل أحسست بالجوع؟»

ردّت بالايجاب وأن كانت في الواقع لا تشعر بالجوع. بل تخشى عناقه، وحيرتها كلماته برغم وضوحها. لا شك أنه سيتزوجها ليضمن بيتاً لألكسندر، تماماً كما ستتزوجه هي لنفس السبب. ولكن ما الذي يدعوه اذاً لتقبيلها؟ هل لمجرد استعراض تفوّقه كرجل؟ لقد أراحتها هذه الفكرة. فمجرد تأكده من أذعانها للتقاليد اليونانية، سيتركها لشأنها فتتولىّ مهمة العناية بألكسندر. لا يمكن أن يرغب في شيء آخر منها، فهو لا يحبها ولم يزعم أبداً أنه يحبها وهكذا ستعيش حياتها كما تريد. ولكن المشكلة أنها لا ترغب في ذلك. وأحسّت بالراحة عندما وصل بها التفكير الى أنها لا يجب أن تشعر بالقلق بعد الآن. انه من النوع الذي يمكن أن تعتمد عليه تماماً، وهذا الاعتماد لن ينهار مع أول خلاف قد يحدث بينهما. أحسّت فجأة بالرضى عن نفسها وقالت:

«لا بدّ أنك تحب ألكسندر كثيراً»

أشعرتها ابتسامته بالدفء وبالسعادة، لأنها كانت تحب الطريقة التي تنفرج بها شفتاه وقال:

«أوه، انني أحبه بالفعل».

حتى أليكترا أحست بأن هناك نوعاً من الارتباط بين ألكسندر وخالته عندما جلست لارضاعه. وسعدت تشاريتي بذلك.

قالت أليكترا وهي تعرف بأنها تطلعها على سرها:

«انهم يخشون أن أغرم بالطفل كثيراً. فهم دائماً يخشون علي، ولكن ليس هناك ما يدعوهم الآن لذلك».

«ما الذي يجعلهم يخشون عليك؟»

«ألم يخبرك أحد منهم؟ لقد أصبحت أتصوّر أنّ الجميع يعرفونني بمجرّد أن يتطلعوا الى وجهي. رغم أنني أصبحت عجوزاً مثل أختي كزينيا».

«على العكس انك تبدين أصغر منها كثيراً»

«أنني أصغر قليلاً. لقد تزوجنا في وقت يعتبر متأخراً جداً في هذه البلد».

«لم أعلم أنك كنت متزوجة؟»

«تزوجت قبل أختي. وبعد عامين كان لي ولد. لا بد أن عمره أصبح الثالثة والثلاثين الآن. كان ذلك منذ وقت طويل جداً»

«ولكن هل هو موجود؟»

«من يدري؟ انني لم أره منذ أن كان عمره أربعة أعوام. لم يكن من السهل أن يعيش المرء في اليونان في تلك الأيام. رحل أناس كثيرون في ذلك الحين. أرسل العديد من الأطفال الى بلغاريا ليشبوا هناك ومنهم إبني ديمتري أيضاً أخذه والده معه. ولم أسمع عنهما شيئاً بعد ذلك ابداً».

«ان ذلك أمر فظيع».

«كان الأمر صعباً عليّ في البداية. ولم أكن أرى طفلاً يركض في الشارع إلاّ وأعتقدت أنه إبني، كنت صغيرة حينئذ ولكن الوضع قد تغير الآن. فأنا أعلم أن ابني أصبح رجلاً، وحتى لو أنني رأيته لما عرفت أنه ابني. انهم يخشون أن يتحوّل ولهي بألكسندروس الى درجة اعتقادي أنه ابني، لقد تخطّيت مرحلة الحماقة تلك منذ زمن طويل. ولكنهم نسوا أنني لم أعد أفرح لبكاء الطفل، فبكاؤه يذكرّني بأن مفاصلي تؤلمني. أنا أودّ أن أكون جدّة الآن وليس أماً».

«يمكنك أن تكوني جدة لألكسندر، وان تلفتي نظري عندما أبالغ في تدليله».

«ولكنك ستعودين الى انكلترا مع رجلك كولين».

«لقد قررت البقاء في اليونان. سأتزوج لوكوس».

«لمصلحة ابن أختك؟»

«أجل».

«أنك تقولين ذلك الآن. ولكن ماذا سيكون شعورك عندما يطارحك لوكوس الغرام. فهو لن يرضى بامرأة في فراشه تعيش معه بنصف قلبها فقط كما انه ليس بالرجل الذي يقبل ألاّ تهتمي به فترة طويلة».

«لن يكون الأمر كذلك. انها مسألة اتفاق، حتى يكون لألكسندر بيت».

«ما من رجل يرضى عن ذلك طويلاً. وأنت؟ هل سيشعرك ألكسندر انك امرأة؟»

«سأكون راضية».

«سأمهلك أسبوعاً فقط بعد الزواج، وسترين أن لوكوس سيقلب كيانك رأساً على عقب ويجعلك غارقة في حبه».

«ربما، ربما يحبني لوكوس؟»

«سيكون لوكوس لطيفاً معك. أما عن الحب؟ فلا شك أنه يحب أريادني من يدري؟ ولكن بمجرد أن تصبحي زوجته فسيخفي هذا الأمر عنك وعن أولاده. ولكن ماذا يهمك من ذلك. ستكونين أهمّ من أي امرأة أخرى في حياته. ومن الأفضل لك أن ترضي بذلك».

ربما كانت تلك نصيحة لها وجاهتها، ولكنها شعرت بقشعريرة تجتاحها. لو كان هذا هو شعورها الآن، فماذا سيكون شعورها في مستقبل الأيام؟ لم تكن تطمع أن يحبها كما أحبته بل لم تكن تتوقع ذلك. وما كانت تريده هو أن يشعر لوكوس بالسعادة لزواجه منها. لأنه يفضلها عن أيّ امرأة أخرى، عن أريادني!

«هل ستغضب كزينيا؟ أو تشعر بخيبة الأمل؟»

«اذا شعرت بذلك سيكون بسبب عدم إحساس أختك بالانتماء الى المنزل. كانت أختك تحتقر أسلوب حياتنا اليوناني، وتحتقر زوجها لأنه يوناني. لم تكن كزينيا تكرهها، ولكنها في الوقت نفسه لم تكن ترحّب بها كزوجة لأبنها. ولم يكن هناك احترام متبادل بينهما».

«ربما تظن أنني سأكون مرآة لأختي؟»

«انك أخت فيث، ولكنّ لوكوس مختلف تماماً عن نيكوس، برغم أنهما أخوان. اذا كنت ستتزوجين رجلاً من بلد آخر فلا تتوقعي منه أن يصبح انكليزياً. أن كزينيا سترحب بك كزوجة للوكوس اذا فعلت ما هو متوقع منك أن تفعليه واحترمت تقاليدنا».

«امرأة بيته».

٩ ـ حفلة العرس

«ماذا أنت فاعلة؟ هل جننت؟»

ضمّت تشاريتي شفتيها في حركة تنمّ عن العصيان. قالت:

«إنك تتحدّث كأن هناك حب بيننا».

انفجر كولين قائلاً:

«ما دخل الحب في ذلك؟ ثوبي الى رشدك يا فتاة، أية فرصة للسعادة يمكن أن تحظي بها معه؟»

«لا أفكر بسعادتي. إنني أفكر في ألكسندر، ليس الخطأ خطأي حين تركت أثراً سيئاً لدى لوكوس، الى درجة أنه رفض أن تشرف على تربية ألكسندر، كان عليّ أن أتزوجه اذا كنت أريد ابن فيث، وأنا أريده».

هزّ كولين رأسه وقال بخبث:

«وتقومين بتضحية كبيرة. أليس كذلك؟»

بلّلت تشاريتي شفتيها، وهي لا تعرف كيف تجيبه على هذا السؤال وقالت كحلّ وسط:

«ليس تماماً. أن الأمر مجرّد تخطيط يتيح بيتاً لألكسندر. إنني آسفة يا كولين. أنا أعلم أنني آذيتك، ما كان عليّ أبداً أن أطلب منك الحضور».

«ولكنني سعيد لأنك طلبت منّي ذلك!»

نظرت إليه في دهشة وسألته فجأة:

«لماذا؟»

«ربما لأنني لا أعتبر نفسي فقدتك تماماً، حتى الآن على الأقل. إنّ في رأسي مشاريع هائلة لنا نحن الاثنين يا تشاريتي. سنطوف العالم، وأنا أعرف الوسيلة التي نحقّق بها هذه المشاريع. سيكون شيئاً رائعاً أن نحمل الغنيمة، ونأخذ قدر ما نستطيع من لوكوس باباندريوس في ضربة واحدة».

كان يبدو عليه أنه يكره لوكوس. وشعرت تشاريتي بالخوف ولكنها في الحقيقة لم تصدّقه. انها تعلم الآن أنه شخص ضعيف، ويشعر أن العالم مدين له بشيء، أما لوكوس، فهو قادر على أن يرعى نفسه ويرعاها هي أيضاً. نظرت الى كولين مبتسمة وقالت:

«وما الذي تنوي أن تفعله؟»

نظر إليها مفكراً وقال:

«من الأفضل ألاّ تعرفي. التزمي السكون يا تشاريتي. فأنا أحاول التفكير في شيء بالنسبة لزواجك هذا، ربما كان هو الشيء الذي سنشغل به وقت صديقنا اليوناني، حتى لا يلتفت الى ما نفعل».

انحنى أمامها متكلفاً الابتسام وقال:

«حسناً يا عزيزتي، إستمرّي في اللعبة معه حتى أكون في حالة طيبة ومستعداً لأن أفعل شيئاً. سوف تستمتعين بهذه اللعبة. أليس كذلك؟ لقد لاحظت أنك تحبين عناقه، ولكنني لا أظن أنك تودّين الزواج منه. لذا أعتقد أنه عليك أن تعوّدي نفسك على الزواج بي في نهاية الأمر».

ضحك في عصبية وأكمل:

«ولكنك ستحصلين على ألكسندر ليسرّني عنك. أما أنا، آه لن أخبرك لئلاّ تسرعي الى لوكوس لابلاغه. سأشعر بالراحة بعد أن أترك تلك البلاد الوثنية. أعتقد أنك سريعة الاستسلام لألاعيبهم».

«أعتقد أنك أصبت بالجنون».

«أخبريني هل وقعت في حبه؟»

«إنني جادة تماماً في الزواج منه، ولا أصدّق كلمة مما تهذي به. كلانا يعرف بأنك لا ترغب في الزواج.»

«ولكنّني معجب بك إلى درجة تكفي لأن أتزوجك».

«أما أنا فلست معجبة بك بدرجة كافية يا كولين، إنني آسفة، سوف أتزوّج من لوكوس وأصبح امرأة بيته».

«وماذا عن أريادني؟»

«ماذا عنها؟ لقد انتهى كل شيء بينهما، هذا اذا كنت تريد أن تعرف.»

«سيكون هناك العديد من النساء غيرها».

لم تستطع أن تخفي الألم الذي سببته لها كلماته. كانت تعلم أنّ لوكوس يتمتّع بجاذبية تجعله يحصل على أي امرأة يريدها، بالزواج أو بدون زواج. قالت:

«سأحصل على ألكسندر».

ضحك ساخراً وقال:

«وستحصلين عليّ أيضاً. ولكن يمكنك التظاهر بأنك ستتزوجينه في الوقت الراهن. سأتغيّب خلال الأيام القليلة القادمة، وهكذا ستكون لك الحريّة في اتقان هذا الدور يا حبيبتي، لن تجديني ذلك الزوج الغيور».

«أرجو أن تستمع إليّ يا كولين. لقد قررّت الزواج من لوكوس، ولن يستطيع أي شيء أن يمنعني من ذلك».

«هذا ما تظنّين أنه سيحدث. عندما يحين الوقت ستسقطين في يدي مثل الثمرة الناضجة، على فكرة، لا أعتقد أنني سأتمكن من تسديد مصاريف إقامتي هنا؛ هل بإمكان أبوللو أن يفعل ذلك من أجلي».

«لن أطلب منه ذلك، سأدفع أنا بنفسي».

«إفعلي ما تشائين. سأراك فيما بعد يا تشاريتي، يا حبي».

«كلا يا كولين أرجو ألاّ تعودا»

«انك بذلك تطلبين منّي الكثير يا عزيزتي. سأعود بعد يوم أو نحو ذلك، وسترين أنك ستسعدين برؤيتي. إلى اللقاء يا تشاريتي. اعتني بنفسك جيداً».

راقبته تشاريتي وهو يهبط درج الفندق، وجزء منها يشعر بالارتياح لأنه ذهب، أما الجزء الآخر فكان يتساءل عماّ اذا كانت تكرهه، أو تحسّ بالاشمئزاز من تباهيه بمستقبلهما معاً. لقد كرهته لأنه جعلها تشعر بأنّ ما تحسّ به تجاه لوكوس، هو نوع رخيص ومؤقت من المشاعر، ولأنه إستخفّ بلوكوس. قد تقبل أن يقول أي شيء عنها، أما عن لوكوس فلا. لماذا؟ لأن لوكوس يساوي عشرة من أمثاله، فكولين لا يستحق حتى أن ينظّف حذاء لوكوس.

توجّهت الى مكتب استقبال الفندق لتسدّد فاتورة كولين، حتى لا تضطرّ الى التفكير فيه بعد الآن. ولكن رغم تصوّرها ان ما قاله هو مجرد كلام، فقد شعرت أنّ هذا اللقاء كان شيئاً غير مريح. تمنّت لو أنّ لوكوس كان معها ليته معها الآن. وارتفعت معنوياتها لمجرّد تفكيرها فيه. فهو سيأتي ليصحبها في زيارة لوالديه هذا المساء، وستخبره حينئذ بما قاله كولين. سدّدت حساب كولين وصعدت الى غرفتها. لن تمرّ سوى ساعة حتى يأتي لوكوس.

ولكنها في نهاية الأمر لم تخبر لوكوس بأي شيء عن كولين. فقد ضنّت بسعادتها عندما جاء ليصطحبها، فكانت حذرة في تحيتها له حتى أظهر لها سروره برفقتها، لم يدفعها ذلك أن تفعل شيئاً سوى أن تحييه بوضع يدها في يده. ولكنها حين ركبت السيارة جلست بعيداً منه. وسألته:

«هل أبلغت والديك؟»

ردّ عليها مبتسماً في تباطؤ:

«هل تشعرين بالتوتر؟»

«نعم، أشعر بذلك. لأنني أعتقد انهما لم يحبّا فيث».

«هذا أمر مختلف تماماً»

«لا أعتقد أنه مختلف، فإنّ فيث أختي وأنا أشبهها في أوجه كثيرة، لا يسعني إلاّ أن أتصور أنهما شعرا بخيبة أمل».

«لا داعي لكل هذا القلق. صحيح أنّ نيكوس كان أخي، ولكنّ زواجنا سيكون مختلفاً تماماً عن زواجهما. أؤكد لك ذلك وأمي سترحّب بك إذا أدركت أنك ستسعدين ابنها. إنها ليست ذلك الغول الذي تظنّينه، بل أعتقد أنها هي أيضاً تخشاك».

«تخشاني أنا؟ لماذا؟»

«إنها تخشى أن تتحدّي كل ما تعودت عليه في الحياة، ولا تستطيع هي أن تفعل شيئاً إزاء ذلك. فلم يكن من السهل عليها أن تسمع النساء يتحدثن عن طريقة فيث المستقلة في الحياة».

«ولكن فيث لم تكن السبب في فضيحة!»

«قد لا تعتبر هذه فضيحة في انكلترا، ولكن تصرّفها في أثينا أثار كلاماً كثيراً. لقد رفضت التخلّي عن شقتها في أثينا، والذهاب مع نيكوس الى دلفي، ثم الطريقة التي كانت تشكو بها من حياتها في أراخوفا، فأشاع ذلك، الذعر بين صديقات أمي، وبدأن في تقديم الاقتراحات الممكنة عن الطريقة التي يمكن لنيكوس أن يردّها بها عن غيها».

«يا للفظاعة».

مدّ يده يبحث عن يدها وتخلّل أصابعها بأصابعه. أحسّت تشاريتي بوخز خفيف في أعصابها عندما تلامست أصابعهما. ولكنّها ضغطت على نفسها حتى لا تستجيب لمشاعرها.

«لم يكن الأمر سهلاً على أمي».

«ويبدو أنه لم يكن سهلاً على فيث. كما أنه لا تدهشني عدم رغبتها الاقامة في أراخوفا!»

تحدّاها بنظرة من عينيه وسألها:

«لو قلت لك اننا سنعيش هناك، هل تحزمين متاعك وتتبعينني؟»

أحزنها هذا السؤال، فهي تودّ أن تتبعه الى أي مكان، حتى الى ذلك البيت الفقير في أراخوفا. فهو أفضل مكان يجعله يحبها، ولكن اذا قالت له هذا، فسيكون بمثابة خيانة لأختها فيث التي كانت لها ظروف مختلفة، لأنها واثقة من حب نيكوس لها كما أنها كانت تنتظر وليداً لها في ذلك الوقت. أصرّ لوكوس على سؤالها:

«هل كنت تفرين هاربة مني؟»

«كلا!»

«كنت أعرف ذلك!»

«وكيف عرفت؟»

ضحك وقال:

«أنا أعرف الكثير عنك يا امرأة بيتي...»

ناطقاً الكلمة الأخيرة من جملته هذه باللغة اليونانية.

«لا يمكنك أن تعرف ذلك. أنا نفسي لا أعرف. قد أظنّ أنني لا أفر منك، ولكن ربما تكون الحقيقة شيئاً آخر تماماً».

ثم ان اللقب الذي أضفاه عليها أثارها فجأة، وجعل قلبها يخفق في صدرها. امرأته! كم تتوق الى أن تكون كذلك!

«ستكون الحقيقة أفضل مما تتصورين، وهو ما يقودني الى الحديث عن زفافنا يا تشاريتي. إنّ هذا الوضع غير المستقر صعب علينا. هل هناك ما يدعونا لتأجيل الحفل، أم أنك على استعداد للزواج مني بمجرّد إنهاء الترتيبات؟»

فكّرت لحظة في الأمر. فمن الأفضل لها أن تقابل أصدقاء لوكوس

في أثينا، على أساس أنها زوجته وليست أخت فيث. رغم استحالة الاعتراف بذلك. قالت في صوت مخنوق:

«أريد أن أبلغ أختي هوب. من الحماقة أن تأتي خصيصاً من أميركا لتحضر زفافنا، ومع ذلك لا أحب أن يتم زواجي بدون علمها».

«آه، أجل. هوب أختك الأخرى. سأطلبها لك تليفونياً إذا أعطيتني الرقم، ويمكنك أن تتحدثي معها كما تشائين، موافقة؟»

«إن هذا سيكون مكلفاً للغاية».

أوقف السيارة عند منزل والديه وابتسم وهو يلتفت اليها قائلاً:

«أنت تستحقين ذلك».

قبّلها في وجنتيها وقال:

«أنت لا تطلبين الكثير لنفسك. أنك اسم على مسمّى يا تشاريتي».

قبّلها من جديد على وجنتها ثم انتقل بشفتيه الى جبينها وعينيها بدا الأمر كأنه مداعبة تلقائية، ولكن حاجتها اليه انطلقت تعبر عن نفسها وأنستها كل شيء، إلاّ تلك الاستجابة التي أحست بها بداخلها، وحاجتها إليه. ارتعشت وراحت تبكي وهو يبعدها عنه. كيف ستكون حياتها في ظلّ هذا الزواج الأفلاطوني، في الوقت الذي تحسّ بحبه يجتاح قلبها؟ لا بدّ أنه يعرف تأثيره عليها، لأنه أكثر منها تجربة مع الجنس الآخر. حاولت أن تبتعد بنظراتها عنه، حتى لا يقرأ في عينيها الاحساس بالمهانة.

قال لها مداعباً:

«كلّما أسرعت بالزواج منك كلّما كان ذلك أفضل».

وافقته بايماءة من رأسها وهي ما زالت لا تجرؤ على النظر اليه وقالت:

«ستكون مسرورة أليكترا، هكذا قالت لي».

توقفت فقد خانتها قدرتها على الاستمرار في الكلام.

«أوه ـ تشاريتي!»

«أرجوك لا تفعل. أنك تعلم أننا سنتزوج من أجل ألكسندر».

فتحت باب السيارة وأسرعت تعدو في ممر الحديقة، غير عابئة إذا كان يتبعها أم لا، حتى أحسّت بيده ثقيلة على كتفها، وقال لها وعيناه يملؤهما الغضب:

«هل ستستمرين في ترديد ذلك القول بعد زواجنا؟»

«بالطبع، لأنه يعبّر عن الحقيقة».

كان في الواقع يعبر عن جزء من الحقيقة. أخذت نفساً عميقاً لتكمل كلامها، ولكن ماذا تقول؟ فتح الباب وأطلّ منه والد لوكوس وهو يبتسم مرحباً، وأخذ بيدها الى داخل المنزل.

كان سبيرو وكزينيا كريمين معها للغاية في تلك الأمسية، ورحّبا بها بالكلمات الانكليزية القليلة التي يعرفانها كعضو في الأسرة، ثم تحوّلا الى الحديث بحريّة باليونانية لمناقشة أمور زفاف ابنهما.

وبين فترة وأخرى تنظر اليها كزينيا بابتسامة راضية، ثم تعود الى الحلبة اليونانية كما لو كان الجميع في معركة عائلية. يبدو أنّ تلك هي عادة آل باباندريوس في الاتفاق على شيء ما. جلست صامتة تنظر اليهم وأحسّت برغبة مفاجئة في الضحك. إنّ الأمر هنا يختلف كثيراً عن الحياة العائلية التي عاشتها، وخاصّة بعد ذهاب أختيها والصمت الحزين الذي ران عليها مع والدها المريض. التقت عيناها بعيني لوكوس وبدأت ضحكاتها ترتفع، ولدهشتها أنّ الجميع بدأوا يشاركونها الضحك في مرح، مع أنه لم تكن لديهم فكرة عمّا يضحكها.

لفّها لوكوس بذراعه وضمّها اليه قائلاً وعيناه تنطقان بالاستمتاع:

«هل الزواج يعتبر نكتة في نظرك؟»

«ليس ذلك بالضبط، ولكنها الحيوية في الحوار بين والديك وكل طرف يلقي الكلام في وجه الآخر دون أن يلقي بالاً الى أيّ كلمة مما يقوله الطرف الثاني».

«هذا صحيح، ولكننا نتفق في النهاية. واتفقنا بالفعل على الكنيسة التي سيتم فيها الزفاف».

«أوه، ومتى سيكون ذلك؟»

«بعد ثلاثة أيام حيث تصرّ أمي على أن ترتدي ثوب زفافها، الذي ستجري عليه بعض التعديلات ليناسبك، وأبي سيقف الى جانبك عند المذبح».

ثلاثة أيام فقط؟ انها تشعر أن لوكوس ما زال غريباً عنها؟ كيف ستعيش معه في شقة واحدة وتراه كل يوم؟ ربما لا تعجبه حياته معها، حينئذ لن تحتمل هي ألاّ يكون سعيداً بها.

لا تدري كيف انتهت الأمسية، وكيف وجدت نفسها تقبّل أقرباء المستقبل وهي تودّعهم. حاولت ألاّ تفكر فيما يخفيه لها المستقبل؛ حفل زفاف غريب، بلغة غريبة، وأيضاً زواج أغرب. كل ذلك من أجل ألكسندرا!

مرّت الأيام الثلاثة التالية وهي في دوّامة. فقد اتضح أنّ ثوب زفاف كزينيا يناسبها أكثر مما تصوّر أي شخص، ولم يتطلّب الأمر إلاّ بعض تعديلات طفيفة. كان ثوباً من الحرير بلون العاج، مصمماً على طريقة العصور الوسطى، له أكمام هائلة تتدلّى حتى قدميها فبدت وكأن لها أجنحة كلما رفعت ذراعيها، ومطرّزاً باللؤلؤ وبخيوط الفضة عند فتحة الرقبة المستديرة وعند الذيل. لا بد أنه كان غالي الثمن. شعرت كزينيا بضيق لأنّ خيوط الفضة انطفأ لونها وعلتها الأوساخ، ولكن أليكترا ذات التجربة العملية ابتكرت طريقة

لتنظيفها. كانت تشاريتي تطيع كل أمر يصدر لها. مهرولة هنا وهناك من مصفف الشعر الى الخياط الى الصائغ، ومحلات الحلوى التي كانت كزينيا تحبّ زيارتها أكثر من أي شيء آخر. لم يخطر كولين على بالها على الاطلاق، أما لوكوس فقد حاولت ألاّ تفكر فيه لأن مجرد التفكير كان يجعل قلبها ينخلع دقاً بين ضلوعها.

في الليلة السابقة ليوم الزفاف ذهبت لتقيم مع والدي لوكوس. وجاء لوكوس على العشاء، وقد أدهشها هذا، لأنها اعتقدت أنه سيمضي الليلة في الخارج يحتفل مع أصدقائه بآخر ليلة له كرجل أعزب. عندما أسرّت له بذلك أجاب في دهشة:

«لا أعتقد أنّ اقامة حفل كهذا في الليلة التي تسبق الزواج، يعتبر مجاملة للعروس. انك تمزحين أليس كذلك؟»

رحّبت تشاريتي بما قاله وشعرت بالابتهاج في داخلها. لأنها وجدت في ذلك تأكيداً بأنه ينظر الى زواجه منها، كشيء يبعث على البهجة، ولا يرى فيه سجناً يدخل فيه ليقضي بقية حياته. ولكنها عادت تقول لنفسها، إنّ الرجل اليوناني لا يعتبره سجناً لأنه في الواقع سجن للمرأة في هذا البلد، فالرجل يظلّ حراً يعيش كما كان قبل الزواج. وها هي تهرع الى هذا السجن بأسرع ما يمكنها. فهي في الواقع، تودّ أن تكون زوجة لوكوس أكثر من أي شيء آخر في الحياة.

طلب لها لوكوس أختها هوب تليفونياً في الولايات المتحدة، وعندما جاء موعد المكالمة، تحدّث لمدّة طويلة مع أختها قبل أن يدعوها هي لتتحدّث معها. أخذت منه تشاريتي السماعة مع ابتسامة عصبية.

كان من الحماقة أن تطلب هوب للتحدث معها، في الوقت الذي لم يكن هناك ما يستدعي الحديث.

« هوب؟»

جاءها صوت أختها بلكنته الأمريكية غريباً عنها تماماً.

«حبيبتي، أرجّح أنك تمكّنت من اقتام أفضل زواج في عائلة أرتشر. حسناً فعلت! أعتقد أنه زواج حب أيضاً؟»

نظرت تشاريتي حولها لتتأكد من أن أحداً لا يسمعها:

«إنني أحب لوكوس. أحبه كثيراً».

«إذاً هذا زواج موفق. فالعريس يبدو رقيقاً للغاية. قال إنه سيأتي بك الى الولايات المتحدة عندما يعود اليها في المرة القادمة.»

«إنني لا أعوّل كثيراً على ذلك. لأن الأمر سيكون مكلفاً للغاية أليس كذلك؟ كما أنّ هناك ألكسندر وينبغي عليّ أن أرعاه».

«أحضريه هو أيضاً».

«ولكن ذلك سيكلف المزيد».

ضحكت هوب وقالت:

«يا عزيزتي أليس لديك أية فكرة عن مدى ثراء زوجك؟ انه يكاد يكون مليونيراً».

اندهشت تشاريتي وقالت:

«هل قال لك ذلك؟»

«لقد قمت برحلات على سفنه، أوه تشاريتي، ليس غريباً عنك ألاّ تعرفي شيئاً كهذا، ألم تخبرك فيث بذلك؟ لقد بدأت أعتقد أن لوكوس رجل محظوظ. هل يعرف أنك لا تتزوجينه من أجل ماله؟»

«لا أدري».

أحسّت بالارتباك بعد انتهاء المكالمة أكثر من أي وقت مضى. ربما كانت عائلة باباندريوس ثرية في وقت من الأوقات، ولكن لا يبدو عليها الآن أي مظهر من مظاهر الثراء الكبير. وهي لا تهتم كثيراً

بذلك. فهي ستتزوج لوكوس وليس ثروته.

ظنّت أنها لن تستطيع النوم تلك الليلة، ولكنّها على العكس راحت في سبات عميق بمجرد أن لمست رأسها الوسادة. وعندما استيقظت سمعت الحركة المحمومة التي تحيط بها من كل جانب. حثّتها أليكترا على النهوض حتى لا تتأخر عن الكنيسة.

ارتدت ثوب حماتها ونظرت في المرآة وخفق قلبها، كانت باهرة الجمال. ووّدت لو أن لوكوس شعر هو أيضاً أنها جميلة، أكثر جمالاً من أريادني مثلاً، وأكثر حباً له.

توجّهت الى الكنيسة متعلقة بذراع سبيرو، وهي لا تعرف ماذا ينتظرها. كانت الأشياء جديدة بالنسبة لها. الكنيسة الشرقية من الداخل، والأيقونات المتدليّة من كل مكان، وملابس القساوسة الذهبية. وقفت الى جانب لوكوس. الذي بدا جاداً. حاولت أن تركّز اهتمامها على تفاصيل الحفل الذي سيجعل منها زوجة للوكوس. همس لها لوكوس بأن تقول تعهداتها الزوجية بلغتها وكان صوتها واضحاً وقوياً وهي توجه له شخصياً كل تعهداتها.

بعد ذلك وقفت الى جانب لوكوس عند باب منزل والديه ليرحّبا بالضيوف، وهي تعجب من أين جاء كل أولئك الناس. استمرّت الاحتفالات طوال النهار وأحسّت بالسعادة وهي تقف الى جواره.

كان الوقت قد تأخر عندما انصرف آخر الضيوف. أخذ لوكوس أليكترا وألكسندر وأجلسهما في المقعد الخلفي للسيارة، ثم أخذ بيدها ليجلسها في المقعد الى جواره. لم تنبس بكلمة واحدة طوال الطريق الى شقته، لأنّ سبباً جديداً للقلق بدأ يساورها. تبعت أليكترا الى المصعد، وقالت لها وهي تعرف أن لوكوس لم يأت بعد.

«أظنّ أنني سأذهب الى السرير على الفور».

ابتسمت لها أليكترا، وفتحت لها إحدى غرف النوم وأومأت لها أن تدخل:

«استمتعي بنومك جيداً، سأقوم أنا الليلة على رعاية ألكسندر الى أن تتعوّدي أنت على ذلك».

اجتاح تشاريتي احساس بالحزن. أمضت وقتاً طويلاً في الحمام وفي تصفيف شعرها قبل أن تدخل الى السرير. كان ذلك بمثابة الانحدار من قمّة الروعة التي عاشت فيها طوال اليوم. لم تكن مستعدّة لدخول لوكوس الى غرفة النوم، فجذبت بسرعة الغطاء حول رقبتها وصاحت:

«هذه غرفتي».

رفع حاجبيه في دهشة:

«غرفتك؟ حتى اليوم كانت غرفتي بمفردي، ومع ذلك فأنني على استعداد لأن تشاركيني فيها. انه سرير كبير لا يتناسب مع صغيرة مثلك».

«ولكنني لم أفكّر في هذا النوع من الزواج، انه مجرّد ترتيب، من أجل ألكسندرا»

«ما زلت تردّدين هذا القول».

ابتسم لها وهو يجلس على حافة السرير الى جانبها:

«أستطيع أن أفعل الكثير من أجل ألكسندر، أستطيع أن أجد له مربية دون حاجة الى الزواج منها. لقد أقسمت على أشياء كثيرة اليوم، والآن حان وقت الوفاء بما أقسمت عليه. أعتقد أنك كنت تفهمين ذلك؟»

«نعم. ولكن».

اقترب منها أكثر وأحست بدفئه:

«لومضيت الآن لحال سبيلي، فلن يكون هناك زواج على الأطلاق. ستعودين إلى انكلترا وسيبقى ألكسندر هنا معي. وسينتهي كل

شيء. هل هذا ما تريدينه؟»

لو أنه نطق بكلمة حب واحدة لتوسّلت اليه أن يبقى، ولكنه لم يفعل.

« لوكوس. انني في حاجة الى وقت. هل أطلب بذلك الكثير؟»

وضع يداً قوية على وجنتها وتحسّس فكها ثم انحناءة رقبتها. إنّ لمسة منه جعلت الدم الحار يندفع الى وجهها.

«يا لك من حمقاء يا تشاريتي، قاومي ما شئت، ولكننا في النهاية سنصل الى شيء واحد».

قبّلها برقّة متعمّدة، وهو يمسك بكلتا يديها وراء ظهرها. أحسّت أن قلبها سينفجر في ضلوعها وأنه يعلم ذلك تماماً. ابتعد قليلاً الى الخلف وقال مبتسماً: «حسناً، أنت الآن زوجة محبّة؟»

«لا يمكنك أن تجبرني».

قبّلها من جديد. وأحسّت بالضياع. خلّصت يديها منه وأحاطت بهما عنقه مستسلمة لمداعباته.

«حسناً؟»

«أريدك أن تبقى».

«قولي من فضلك».

همست:

«من فضلك».

قال شيئاً باليونانية لم تفهمه، ولكن لم يكن هناك شك في الرسالة التي أراد فمه أن يبلغها أياها أو في القوّة التي عانقها بها. وعانقته بحرارة ثم تذكرت. يا للمسكينة أرديانى. لقد فقدت كل ذلك! بعد ذلك لم تعد تفكّر في شيء.

١٠ ـ خذني الى زوجي

سمعت تشاريتي بكاء ألكسندر، وتسلّلت من السرير بدون أن تزعج لوكوس. ارتدت الروب وهي تنظر اليه وهو نائم وقلبها يتدفّق حباً له. علا صراخ ألكسندر بدرجة لا يمكن تجاهلها. توقّفت تشاريتي عن التثاؤب والنظر في اعجاب الى زوجها وذهبت لترى ابن أختها. أليكترا على حق، كانت بالفعل طاعنة في السن، لقد تخطّت بكثير السن التي يمكن أن تكون فيها أماً لألكسندر.

وضعت تشاريتي الطفل على ركبتيها وأخذت في مداعبته وهي تقوم بتغيير ملابسه. قالت لنفسها لو أنها أسرعت في هذه المهمة لأمكنها أن تتسلل عائدة الى السرير قبل أن يصحو لوكوس.

ارتعشت حين خامرتها هذه الفكرة. كم كان رقيقاً معها! لم تكن تتصوّر أن قمة المتعة في الزواج ستكون بمثل هذه الروعة. كان صبره معها لا ينفد، وأحست مع دفء جسده بموجة فياضة من الحب له، تحملها بعيداً في أعماق أعماقها الى بحار لم يخضها أحد من قبل سوى لوكوس والحب الجارف الذي تحمله له.

لقد انتزع منها في تلك الليلة الاعتراف بحبها له مراراً عديدة. وكان يبدو عليه أنه يستمتع بسماعها وهي تردّد ذلك مراراً ولكنه لم يقل لها ولو لمرة واحدة أنه يبادلها نفس الحب.

وهي تذكر أيضاً أنها قالت له أشياء أخرى، أشياء لم تقلها من قبل لأي انسان، أشياء لم تكن هي نفسها تعرفها عن نفسها. حكت له عن

صمت والدها الطويل، والوحدة التي ظلّت تعانيها بعد أن ذهبت أختاها وتركتاها وحيدة تواجه مرضه الطويل ووفاته في نهاية الأمر، ذكرت له أيضاً كيف أنها لم تنجح أبداً في أن تكون لها شخصية قائمة بذاتها. وقال لها مداعباً وهو يحتضنها:

«والآن يجب عليك أن تكوني خالة ألكسندر».

وردّت عليه وهي مقطبة الجبين في الظلام:

«أعتقد ذلك. لو أنه لم يكن شبيهاً بفيث الى هذا الحد، لعدت الى انكلترا بأسرع ما يمكنني».

أجابها وشفتاه تغيبان في شعرها:

«لن يحدث أبداً. فلم أكن أسمح لك بذلك».

فردّت عليه بصوت عال وباصرار:

«إنني أحبك».

ضحك هو وهمس في أذنها بهمهمة باللغة اليونانية، وقبّلها وكأنه استجاب لرغبتها الكامنة تماماً.

التهم ألكسندر زجاجة اللبن، وتجشأ فاتسخت كل ملابسها.

قامت بتنظيف كل الفوضى التي سبّبها، ونهرته لأنه حرمها من العودة مرة أخرى الى لوكوس:

«كان يجب عليّ أن أتركك تبكي الى أن تعود للنوم مرة أخرى».

قال لوكوس الذي ظهر عند الباب مشعثّ الشعر حافي القدمين وهو ما زال يقوم بارتداء بيجامته:

«ولماذا لم تفعلي ذلك معه؟»

أحسّت بالخجل لدى رؤيته، وبشيء من الاندهاش لتجوّله في المنزل على هذه الصورة وقالت:

«قد تراك أليكترا على هذه الصورة!»

ضحك عالياً واتجه اليها ليدسّ يده متخلّلاً شعرها، وليربت على

عنقها مداعباً.

«هل مشاعر الغيرة تتأجج فيك كما تتأجج عاطفتك؟»

رفعت اليه رأسها متأهبة لاستقبال قبلة منه:

«آمل ألاّ أكون غيورة، لأنني أعتقد أنّ الغيرة نوع من ضيق الأفق».

«الغيرة، من جانب المرأة، لا تنمّ عن ضيق الأفق. فكل النساء يعانين الغيرة عندما تخفق قلوبهن بالحب».

«وهل الرجال لا يشعرون بالغيرة؟»

«يستطيع الرجل أن يجعل زوجته تمتنع عن القيام بما يشعل نار الغيرة فيه».

«إذاً فأنت تعتقد أنه ما من شيء أبداً يدعو للقلق؟»

«ألا تفعلين ذلك أنت؟»

«إني لا أخجل أن أعبّر لك عن مدى حبي».

أخذ الطفل من بين ذراعيها ووضعه في مهده عندما سمع تعبيراتها التي تتأجج بالحب له. سمعا وقع أقدام أليكترا عبر الممر قادمة اليهما.

قالت أليكترا معتذرة عن عدم سماعها بكاء ألكسندر:

«كان يوم أمس يوماً شاقاً ولم أستطع النوم، ولذلك أخذت واحدة من دواء كزينيا المنوم. لا بدّ أن أشرب فنجاناً من القهوة لأصحو. هل تناولتما افطاركما أم أقوم أنا باعداده؟»

قبّل لوكوس خالته على وجنتها وقال مداعباً:

«لقد كنت أنتظر من شخص ما أن يقوم بتغذيتي. ماذا تأكلين يا تشاريتي؟ لم أسألك من قبل عن ذلك. هل تحبّين البيض واللحم المقدّد والمربى؟ أم ستتناولين معي خبزاً وقهوة؟»

قالت تشاريتي على الفور:

«خبزاً وقهوة من فضلك».

كانت تودّ لو أوتيت الشجاعة لتقول له أنها تريد طعاماً مثل طعامه، ولكنها كانت تخشى أن تجرح إحساس أليكترا. أيّ شهر عسل كان ذاك؟ وهما يقضيانه في شقة مع أليكترا والطفل! ولكن طالما أنّ لوكوس يعتبر ذلك شيئاً لا بدّ منه فلا اعتراض لها. نظرت عبر الغرفة الى زوجها وراعها مرة أخرى لون بشرته الذهبية وجمال عينيه المتلألئتين. كان بالفعل أبوللو دبّت فيه الحياة. أحسّت برغبة جارفة في التوجه الى هيكل البارثينون لتعقد من جديد مقارنة بين لوكوس و أبوللو:

« لوكوس، هل يمكن أن نقوم اليوم بزيارة الأكروبوليس؟»

نظر لوكوس في ساعته وهزّ رأسه قائلاً:

«نذهب بعد الظهر إذا شئت، لأنّ لديّ شيئاً هاماً لا بد أن أفعله هذا الصباح».

وأضاف وقد لاحت على وجهه ابتسامة تداعب شفتيه:

«كان يجب عليّ أن أنجز هذا الأمر أمس، ولكنني كنت مشغولاً».

لم تتفوّه تشاريتي بكلمة. كانت تعرف أنه مضطّر لذلك، ولكنها تمنّت لو أنهما استطاعا الانفراد ببعضهما لعدة أيام قليلة، تعتاد فيها على حبه، وربما تستطيع خلالها أن تقنعه بأنه لا يرغب في امتلاكها فقط بل يحبها أيضاً.

انتهى لوكوس من شرب قهوته ومن قراءة الجريدة، ووقف بدون أن يلقي عليها ولو نظرة واحدة. جففت تشاريتي الدموع التي ملأت عينيها وتظاهرت بالأهتمام بعلبة السكر الموجودة أمامها.

«ما الذي كنت تتوقعينه؟»

سألتها أليكترا بصراحة محبّبة ومضت تقول:

«كان العمل بالنسبة له يأتي دائماً في المقدمة، ولن يتغيّر الحال الآن. »

تذكّرت تشاريتي ما قالته لها أختها هوب في المكالمة

التليفونية، وقالت:

«كنت فقط أودّ أن يتفرّغ لي عدة أيام قليلة. قالت لي هوب أنه يمتلك أموالاً طائلة، ولذلك كان في مقدوره أن يحصل على اجازة لبضعة أيام».

هزّت أليكترا رأسها في تعجب وقالت:

«هل كنت في حاجة الى أن تخبرك أختك بأن لوكوس رجل ثري؟ صحيح انه ليس أرسطو أوناسيس، ولكن خطوط باباندريوس للشحن البحري، معروفة جيداً في انحاء العالم. ولقد اعتزل سبيرو العمل منذ عدّة أعوام كما أنّ نيكوس أدار ظهره للشركة. وهكذا حصل لوكوس على كل شيء. وبدأت مسؤوليات كبيرة تقع على عاتقه، ولذلك لا يستطيع أن يذهب الى هنا وهناك لمجرّد إرضاء زوجته، بل على زوجته أن تؤقلم نفسها على طبيعة عمله».

«أعرف هذا، ولكن ليس في اليوم التالي لزواجنا».

«إنك مدلّلة مثل أختك».

نظرت اليها أليكترا نظرة غير ودّية وقالت:

«هناك بعض الملابس لألكسندروس تحتاج الى غسيل، كما أنّ هناك أحد أزرار قميص لوكوس يحتاج الى اعادة وضعه في مكانه، هل أفعل أنا ذلك أم أنك ستقومين به؟»

كان ذلك تأكيداً لحياتها كزوجة. قالت:

«سأقوم أنا بذلك. أما الذهاب الى الأكروبوليس فيمكن القيام به في أي وقت آخر طالما أنني سأقيم هنا».

قالت لها أليكترا مؤكّدة:

«كلاّ لن يحدث ذلك، فان لوكوس سيكون برفقتك بعد ظهر اليوم. وسأقوم أنا في ذلك الوقت برعاية ألكسندروس. أما هذا الصباح فسأقوم بزيارة أختي للاطمئنان عليها بعد ليلة أمس.»

قامت تشاريتي بجمع الملابس للغسيل وسمعت أليكترا وهي تخرج من الباب في الوقت الذي كان لوكوس يصفّر لحناً في غرفة المعيشة. أسرعت تشاريتي الى غرفة النوم لتبديل ملابسها، عندئذ سمعت جرس الباب يدق بشدّة. سمعت صوت لوكوس مرحباً بالقادم بشكل مبالغ فيه.

أسرعت تشاريتي بارتداء ملابسها للترحيب بالزائر، كان باب غرفة المعيشة مغلقاً. ترددت لحظة قبل أن تفتحه بهدوء رأت من فتحة الباب الصغيرة لوكوس واقفاً قرب النافذة وبين ذراعيه أريادني، وكان يقبلها. أما هي فقد أحاطت عنقه بذراعيها وقد دنت منه كثيراً.

أغلقت تشاريتي الباب وقد انتابها إحساس بالمرض. حاولت إقناع نفسها بأنها كانت تعرف الحقيقة طوال الوقت، ولكنّها لم تشاهدهما معاً منفردين من قبل. انها نهاية كل أحلامها!

كيف يتسنّى لها أن تجذبه اليها بينما هو منجذب الى أريادني؟ لا بدّ أنه يحبها حباً طاغياً ما دام يقبّلها على هذه الصورة النهمة، وفي هذا الصباح بالذات بعد ما حدث بينهما ليلة أمس ولكنّها لا، لن تفكر في الليلة الماضية، لن تفكر.

أسرعت عائدة الى المطبخ وقامت بالغسيل بصورة آلية والدموع تتساقط من عينيها لتختلط بمياه الغسيل. وبمجرّد انتهاء الغسيل أحسّت بصداع، وبدأ ألكسندر في الصراخ من جديد. نظرت الى قميص لوكوس الذي ينقصه زر، وألقته عمداً على الأرض. فهي لن تخيط له أزراره أو تقوم بأيّ عمل آخر له.

ولن تمكث حتى في نفس الشقة التي يعيش هو فيها، طالما أنّ هذه المرأة معه. ستأخذ ألكسندر وتذهب به الى أي مكان طوال النهار حيث لا يمكنه أن يعثر عليها.

توجهت الى غرفة ألكسندر الذي توقف عن البكاء عندما رآها،

قالت له وهي تبكي:

«أنت الذي بدأت كل ذلك، هل ستجيء معي أم ستبقى هنا؟»

لوّح لها الطفل بيديه السمينتين في الهواء، قالت له:

«ليس لديك أي خيار اذ انني لا أستطيع أن أتركك لوحدك هنا طوال اليوم».

وضعت الطفل في مهده المتنقل، بينما عيناها مغرورقتان بالدموع، وخرجت من الشقة وخبطت الباب وراءها بشدة. انها لم تأخذ معها حتى مفتاحاً للشقة. كان المهد المتنقل أثقل مما توقعت. ولكنها كانت منهمكة في البكاء الى درجة أنها لم تكن تدري ماذا تفعل. لم تكن لديها أية فكرة الى أين تتوجه.

ولكن ماذا يهم! أسرعت بالخروج الى الشارع لتجد كولين يلقاها بيدين ممدودتين. أخذ منها مهد الطفل وقال لها مبتسماً:

«يا له من توقيت مناسب. كنت آمل أن تتاح لي الفرصة أن أراك بمفردك. فقد أبلغوني في الفندق أنك انتقلت الى هنا».

لم تستطع تشاريتي أن تتفوّه بكلمة وتقبّلت في ضيق قبلته، وتمنّت لو ذهب عنها لئلا يرى أنها في غاية التعاسة وأنه آخر شخص تود أن تراه. ولكن من الواضح أنه لم يلحظ شيئاً.

«لقد أحضرت معي سيارة. فقد اعتقدت أنه يمكننا أن نقوم بنزهة، هل يناسبك ذلك؟»

هزت تشاريتي كتفيها، ما الذي يمنعها أن تذهب معه وليس لديها شيء تفعله أفضل. سألته:

«أين ستذهب؟»

«ما رأيك في ايميتوس إنه المكان الذي يأتي منه العسل؟»

أضاف بنغمة الصوت نفسها:

«ما الذي يبكيك؟»

«لأنني كنت حمقاء».

أمسك بها وأدارها لتواجهه، وقال:

«هل قمت بدورك مع لوكوس كما قلت لك؟ إنني ألحظ أنك تقومين برعاية الطفل، الأمر الذي قد يكون في صالحنا. ولكن ما الذي جعلك تنتقلين الى شقة لوكوس؟ لقد ظننت أنك ستكونين أكثر حرصاً على سمعتك!»

«ولكنني قلت لك أنني سأتزوجه».

«بل ستتزوجينني أنا، ان ذلك جزء من الخطة».

«ولكنني لا أستطيع. كولين إنّ الأمر لا أهمية له بالنسبة لك، فإنك لم ترغب أبداً في الزواج بي».

أمسكها من ذراعها بشدة وأجبرها على الدخول الى السيارة قائلاً:

«إدخلي! لا يمكننا أن نتحدّث هنا!»

حاولت تشاريتي التملّص منه وقالت:

«ولكنني يا كولين تزوجته. لقد تزوجته أمس. كان يجب علي أن أخبرك».

ترك ذراعها وكرّر عليها القول بلهجة آمرة:

«ادخلي!»

«ولكن ما من داع».

رفع يده وصفعها على وجهها بقوة. إرتطم رأسها بسقف السيارة.

«إدخلي! ربما تكونين قد تزوجت منه، ولكنني لن أدعك تفسدين خططي! يمكنك يا عزيزتي تشاريتي إلغاء هذا الزواج».

«لن أفعل!»

«أوه، بربك إدخلي الى السيارة. أم هل ترغبين في لكمة أخرى أقوى.»

رفعت يدها وتحسسّت وجهها حيث إرتطمت بالسيارة. لقد تورمت وبدأت تحسّ بآلام شديدة.

«ولكن لماذا يا كولين لماذا؟»

فتح باب السيارة بشدّة وأدخلها بسرعة وصفق الباب الذي إشتبك بطرف ثوبها ومزقه، وألقى بألكسندر في مهده في مؤخرة السيارة بدون إكتراث.

«أرجوك يا كولين، أريد العودة الى المنزل».

«ستعودين يا عزيزتي. لقد حجزت ثلاث تذاكر بالطائرة في الرحلة الليلية الى باريس، ومنها الى لندن في الصباح».

«ولكنني أعني الذهاب الى منزلي».

«ان منزله لن يكون أبداً منزلك».

«لن أعود معك الى انكلترا، لن أذهب معك الى أي مكان! لا أدري ما الذي أصابك. لقد قلت لك أنني متزوجة من لوكوس».

«لم أكن أظنّ أبداً أنك ستتزوجينه. لقد قالها لي بوضوح تام أنه لن يدعك تحصلين على ألكسندر!»

«ولكن ذلك عندما كان يعتقد أنني سأتزوجك!»

«أعلم هذا. انه لا يحبني، وهو شعوري نحوه. كان يشك في أنني أعرف شيئاً عن النقود. بالطبع أعرف. وكنت طوال الوقت أقوم بتحريّات عنه».

«أوه، كلا».

«ماذا حدث يا حبيبتي. ألا تريدين أن يكون لك نصيب في مليون جنيه؟»

«كلا».

«بالطبع تريدين، وها هي النقود تنتظرنا لنأخذ نصيبنا منها. كم أحسّست بالسعادة وأنا أراك اليوم تخرجين حاملة المهد المتنقل، ومعه مليون جنيه».

«لا أصدّق ذلك».

«ولماذا لا تصدّقين؟»

«هل نسيت؟ لقد رأيت بعينيّ كيف كان نيكوس و فيث يعيشان في أراخوفا. لقد تخلّى نيكوس عن كل ثروته عندما ذهب ليعيش هناك.»

«هراء يا عزيزتي. ان نيكوس لم يترك وصية، ولكن كل ثروته ذهبت الى ألكسندر، وليس هناك فرد من أفراد عائلته يحاور في ذلك، ربما لا تكون رابطة الحب بيننا قوّية ولكنني أعتقد أن رابطة النقود ستكون قوّية أليس كذلك؟»

«تعني نقود ألكسندر؟»

«نقودنا. فعندما نصل الى انكلترا، لن تستطع أي محكمة أن تحرمك من حقك في حضانة ابن أختك. فالطفل في مثل سنه يحتاج لرعاية إمرأة.»

«لا أعتقد للحظة واحدة أن ألكسندر يمتلك أيّ نقود، وحتى اذا كان يمتلك، فهل تتصور أنني أمدّ يدي اليها؟»

«ستفعلين يا حلوتي ستفعلين، تماماً مثلما ستستقلين الطائرة هذا المساء».

أحسّت أنه يعني ما يقول، وشعرت أن حالتها في غاية السوء. كان لا بد أن تفكّر في طريقة للهرب من كولين. وهذا الأمر لن يكون سهلاً ومعها ألكسندر و كولين يراقب كل حركة تأتي بها. كان الشيء الوحيد الذي يمكنها أن تفعله، هو أن تشدّه اليها وتشعره بأمان زائف تجاهها. من المستحيل عليها أن تتحدّث معه، ولكنها أجبرت نفسها على ذلك:

«طالما أن معي ألكسندر».

ردّ عليها كولين في احساس بالانتصار.

«إنك لا تحبين صديقك اليوناني بالدرجة التي كنت تتصورينها أليس

كذلك؟ يا للأشياء الرائعة التي يمكن لمليون جنيه أن تفعلها!»

ربت على ركبتها وقال:

«لن يكون الأمر سيئاً كما تعتقدين. دعينا نتحدث عن ذلك فيما بعد يا تشاريتي. ان أمامنا فترة بعد الظهر بطولها».

فتحت حقيبة يدها وتظاهرت بتمشيط شعرها في مرآة علبة البودرة الصغيرة. نظرت الى وجهها، كان خدها متورماً بصورة ظاهرة، وأصبح مكان الاصابة داكن اللون، ماذا سيقول لوكوس عن ذلك؟ اندفعت الدموع الى عينيها بمجرّد أن جال بخاطرها اسم لوكوس. ماذا لو ظنّ أنها ذهبت مع كولين برغبتها؟ انه لن يغفر لها هذا أبداً. وهي لن تلومه على ذلك كان من الأفضل لها أن تشغل نفسها بتركيب زر قميصه.

في الطريق الى ايميتوس، أحسّت تشاريتي بحب لليونان، ولكنّها حاولت أن تبعد تفكيرها عن اليونان لأن ذلك سيؤدي بها حتماً الى التفكير في لوكوس وكيف أنها تحبه كثيراً، لو أنها فقط لم تره مع أريادني، لكانت الآن تعيش ناعمة البال، ما أحلى أن تظل في انتظاره لبضع ساعات في شقته حتى يعود اليها. ولكنه الآن سيعتقد أنها فيث أخرى، تهرب من بيتها لأنها تشعر بجرح غائر في مشاعرها تماماً كما حدث لأختها. انها ستستحق منه ألا يسامحها على الاطلاق جزاء فعلتها.

كانت ايميتوس في ضاحية تقع في واد صغير، يمتد على جانب جبل صغير. وهناك أعداد هائلة من أشجار الزيتون والسرو، تشكّل بألوانها التي تتفاوت في خضرتها منظراً رائعاً في الوادي. ويمكن للمرء حين يلقي نظرة الى الخلف على أثينا الجديدة، أن يرى على البعد مبانيها ذات اللون العاجي تتشابه جميعها في التصميم وقد بنيت منذ أعوام قليلة في محاولة لمواجهة مشكلة الانفجار السكاني للمدينة.

أشار كولين الى شجرة كبيرة تبرز في نهاية الوادي وقال:

«أعتقد أنه مكان مناسب لقضاء نزهتنا، لقد جئت الى هنا من قبل وأنا على يقين أنه سيحوز اعجابك. هناك نبع من الماء يتدفق دائماً».

«أعرف ذلك».

نظر اليها كولين باهتمام نظرة خاطفة قائلاً:

«هل أتيت الى هنا من قبل؟»

«كلا ولكنني قرأت عنها».

«لو كنت مكانك لتركت القراءة جانباً».

«لماذا أتركها جانباً وأنا أحب أن أعرف أشياء كثيرة».

ثم قالت بدون أن تدرك ما تقول:

«ثم انها جزء من لوكوس».

التفت اليها كولين في غضب وقال:

«ألا يمكنك الحديث عن أي شيء أخر؟ لو ذكرته مرة أخرى فسوف...»

«ماذا ستفعل؟ تضربني من جديد؟»

«لم أكن أقصد بك أذى. ولكنك دائماً عنيدة عندما نتحدث عن أشياء هامّة».

«مثل النقود؟»

نزلت تشاريتي من السيارة وتوجّهت الى نبع الخصوبة، ستفيد منها؟ ارتعدت حين طافت بخاطرها فكرة حمل طفل للوكوس، وأزاحتها بسرعة من عقلها. ها هنا ماء سيفيدني أن أغمر وجهي فيه. سمعت خطوات كولين قادمة خلفها، ولكنها لم تحاول أن تلتفت الى الوراء.

«هل تحبينه؟»

«ظننت أنك لا تريد الحديث عنه. من الأفضل أن تذهب لتجيء بألكسندر من السيارة، أمل أن تكون قد أحضرت له شيئاً من

الحليب.»

صاح بها كولين في صوت يمتزج باليأس:

«لم أحضر أي شيء فقد ظننت أننا سنعثر على كافيتير يا هنا، واعتقدت أنه مكان رومانتيكي يتناسب مع حديثنا عن مستقبلنا معاً. ولكن ها أنت غارقة في حب ذلك اليوناني أليس كذلك؟»

«نعم انني احبه».

«هذا لا يغيّر من الأمر شيئاً. أنا لن أتخلّ عن مليون جنيه بعد أن أصبحت قاب قوسين مني، ربما تكونين قد تزوجت منه، ولكن من الممكن إلغاء هذا الزواج، سيكون الأمر هيّناً بالنسبة له، طالما أنك ستتحملين مسؤولية الطفل دون أن تكلفيه شيئاً».

«هل هذا ما تفكر فيه؟ انك لا تعرف عن كلينا إلاّ القليل جداً».

«ماذا تعنين؟»

«ألم يدر بخلدك سبب آخر لزواج لوكوس مني؟»

«لماذا تركته يفعل ذلك يا تشاريتي، كيف؟ لقد قلت لك إنني سأعود بعد أيام قليلة وأنّ كل شيء سيكون على ما يرام، ما الذي دفعك الى الزواج به؟»

«لأنه طلب مني ذلك! وأنا أيضاً كنت متلهفة عليه، إنني فخورة بأن أكون زوجته!»

«إنني أعجب كيف تطيقين أن يطلق عليك لقب السيدة باباندريوس».

خفق قلب تشاريتي بين ضلوعها. هل تلك هي حقيقتها؟ وقالت في إصرار أدهشها كما أدهش كولين:

«إنني أحب أن أكون كذلك. وليست لدي أية نية في الغاء الزواج حتى اذا استطعت ذلك. ماذا تنوي أن تفعل الآن يا كولين أندرسون؟ هل ستأخذني لتعود بي الى زوجي؟»

١١ ـ الرهينة

«أوه كلا، آنسة أرتشر، لن أتركك أنت والنقود تضيعان مني بمثل هذه السهولة».

ردّت عليه تشاريتي بفخر:

«لم أعد آنسة أرتشر».

قالت وهي ترفع رأسها الى الخلف، في تقليد متقن للحركة التي رأت لوكوس يقوم بها مرة:

«انني السيدة باباندريوس!»

«لن تكوني كذلك لفترة طويلة يا حلوتي، ليس لفترة طويلة».

«لا يمكنك أن تلغي زواجي».

«لن أفعل أنا ذلك سيقوم لوكوس نيابة عني بهذا. وأنت تعلمين ذلك جيداً كما أعلمه أنا تماماً. ان له غرور الشيطان ترى ماذا سيقول عن هروبك معي الى الريف؟ هل فكرت في ذلك؟ أوه كلا ياصغيرتي!! فهو سيقذف بك أسرع مما يقذف بقميص له. ومن الذي سيصدقك من عائلة باباندريوس بعد الذي فعلته بهم فيث؟»

اعترفت تشاريتي لنفسها أن أحداً لن يصدقها. كما ان أحداً لم يفهم السبب الذي جعل فيث تفرّ هاربة من بيت أراخوفا، بيت زوجها، إنّ الجميع سيجدون فيها مطعناً حين تهرب مع كولين.

«لن تستطيع أن تجبرني على الرحيل. فأنني لم أحضر معي جواز السفر،

كما أنّ ألكسندر ليس له جواز سفر على الاطلاق».

«هل تظنّيني أبله. لقد كنت طوال تلك الأيام أقوم بالتخطيط ياحلوتي، لن يحدث أي خطأ الآن».

«اذا أضفتنا الى جواز سفرك، فإنّ ذلك غير قانوني!».

فأجاب ساخراً:

«أبلغي ذلك الى مقرّ الجوازات، اذا استطعت».

«ماذا تعني؟»

«سترين! هل ستستمرين هكذا في المناقشة طوال اليوم أم أنك ستستمتعين بالمنظر قبل أن نتّوجه للغدا؟»

لم يعد أمامها شيء تستطيع أن تفعله. ولكنها قالت:

«لا يمكننا أن نترك ألكسندر هكذا في السيارة وحده».

«وما الذي يمنع؟ يمكنه أن ينام هناك كما يفعل في أي مكان آخر، كما أنه صغير جداً ولا يمكنه إلاّ النوم».

لم تشعر تشاريتي بمثل هذه التعاسة من قبل. لم يعد يعنيها أي شيء بعد الآن. ولا تستطيع أن تغيّر من الأمور شيئاً. أمسكها كولين من ذراعها وشعر بالضيق للطريقة التي ابتعدت بها عنه.

«أحمد الله أنني لست بالرجل الغيور. ولكنك يجب أن تتصرفي بطريقة أفضل من ذلك. إهدأي يا تشاريتي. قد لا أكون أفضل الأزواج بالنسبة إليك، ولكن ليس أمامك سواي. سوف نصعد الى أعلى التل لنتمكن من رؤية المنظر بشكل أفضل».

دفعها أمامه الى أعلى المنحدر، حيث يستطيع مراقبة كل حركه تبدر منها. بدأت تشاريتي في السير وهي تحسّ به في مرارة قادماً خلفها. ليس أمامها أي مكان تستطيع الاختباء منه. وشعرت بصداع منعها من التفكير السليم.

حاولت تشاريتي أن تتوقّف لتلتقط أنفاسها، ولكنها كانت تعلم أن كولين وراءها فأخذت تسرع الخطى الى القمة المستوية للتل، حيث تستطيع أن ترى المنظر بصورة أفضل. هذه هي بلد لوكوس، التي أصبحت بلدها بحق الزواج منه. فليفعل كولين مايشاء ولكنها لن تترك هذا البلد أبداً. لو أنها إستطاعت أن تغري كولين بالاقتراب منها لأمكنها أن تدفعه الى المنحدر وأن تسرع هابطة قبل أن يفيق التفتت إليه واغتصبت إبتسامة:

«أليس ذلك رائعاً؟ شكراً لك يا كولين لاصطحابي الى هنا. أعرف أنني كنت صعبة المراس وأنا آسفة لذلك، ولكنني ظننت أنك تركتني وقد جرحني هذا بعض الشيء».

ثم قالت بصوت خفيف وهي تشعر بالاحتقار للدور الذي تلعبه:

«ولكن ما دمت ستعطيني ألكسندر».

«لقد كنت على ثقة من أنّ لغة النقود ستقنعك في نهاية الأمر!»

اقترب منها وقال:

«ان لوكوس لم يكن في نظرك بمثل هذه الجاذبية. أليس كذلك؟»

لم تستطع أن تقسو على نفسها بالموافقة على ذلك وقالت:

«لقد كنت دائماً مغرمة بك».

إقترب منها قليلاً. وأحست بأنفاسه تصطدم بالجرح على وجنتها فازدادت كراهيتها له. مال ناحيتها واستعدت هي للحظة التي تدفعه فيها ليختل توازنه. ابتسم لها، فدفعته بكلّ قوتها دفعة كادت تهوي بها معه وهو ينظر اليها مدهوشاً. دفعته مرّة أخرى بقوّة لم تعهدها في نفسها من قبل، ولكنها كانت قوّة التحدّي. وواتاها الحظ فقد اندفع مترنحاً الى أسفل المنحدر، وكان ذلك كافياً ليعطيها فرصة بضع ياردات لتعدو هابطة لتحتمي بالدير.

تعثّرت وهي تركض في بعض الاغصان المتناثرة وقزقت ملابسها، ولكنها كانت ترتدي إسم لوكوس كما لو كان نوعاً من السحر يمنحها القوة والسلامة. سقطت بشدة وتدحرجت هابطة على الأغصان الشائكة، ولكنها تمكنت من الوقوف على قدميها من جديد، وهي لا تحسّ بالأصابات والخدوش في جسدها.

لاح لها الدير وأدركت أن كولين لم يظهر له أثر خلفها حتى الآن غيرت رأيها، لم تذهب الى الكنيسة بل هرولت مسرعة الى السيارة وألكسندر.

كان كولين يحتفظ بمفاتيح السيارة في جيبه، وعلى الرغم من أنها شاهدت مرّة في أحد الأفلام كيف يمكن إدارة السيارة دون مفتاح، إلاّ أنها كانت واثقة أنها لن تفعل ذلك في الحياة الواقعية. جذبت الباب الخلفي للسيارة وتحسسّت مهد ألكسندر وشعرت بالارتياح لأنها وجدته آمنا وما زال نائماً. فكّرت بسرعة، ستترك المهد المتنقل حتى لا يتطلّع كولين اليه أو يفحص داخله فيرى أن الطفل قد ذهب، اذا اعتقد أن الطفل مازال هناك فسيظنّ أنها مازالت في مكان قريب وقد يضيّع وقتاً في البحث عنها.

وفي تلك الأثناء تكون قد اختفت في زحام شوارع الضاحية، ولكنها نسيت أن تلك الشوارع التي كانت مزدحمة أثناء مجيئها ستكون الآن مقفرة بسبب ساعات الغداء الطويلة. لم يكن هناك مخلوق الآن يمكن رؤيته في الشارع. بدأ ألكسندر في البكاء طلبا لغذائه، حاولت تهدئته ولكنها شعرت بمزيد من التوتر لعلمها أن كولين لابد أن يكون قد وصل الآن الى السيارة. لا تستطيع أن تتحرك خطوة واحدة. ازداد ثقل ألكسندر ولم تعد تقوى على حمله. كانت على وشك البكاء لاحساسها أنها كانت قاب قوسين أو أقرب من الفرار من كولين.

ماذا لو أنها فشلت الآن في ذلك. رفعت رأسها وشاهدت سيارة أجرة قادمة تجاهها. لم تكن تتوقعها على الاطلاق. توقفت السيارة ونظر السائق الى ملابسها والكدمات في وجهها. ألقت تشاريتي بنفسها على المقعد الخلفي للسيارة وأراحت ألكسندر على ركبتيها وشعرت بمفاصلها ترتجف.

تمتمت بالعنوان للسائق وهي تأمل أن يفهم لكنتها، ولكنه لم يفهم، أعادت عليه العنوان مرّة أخرى، قائلة السفارة الأمريكية التي كانت تقع في نفس الشارع الذي يقيم فيه لوكوس، بدا عليه مزيد من الارتباك وأخرج من جيبه خريطة، تمكنت بعد جهد من العثور على المكان.

ومما زاد من متاعبها أن ألكسندر بدأ يبكي ويصيح بصوت مرتفع. كان جائعاً ويحتاج الى تغيير ملابسه. هدهدته تشاريتي على صدرها وبدأت في الغناء له برقة، ولكنها عبثا حاولت، لقد أخذ يركلها بقدميه معلناً عن غضبه.

وصلت السيارة الى الشارع، وأشارت تشاريتي الى السائق حيث تقع شقة لوكوس. وقف السائق وتبادل مع تشاريتي حديثا باللغة اليونانية، التي لم تكن تعرف هي منها سوى بعض العبارات التي دوّنتها في مذكرتها، فاستعصى على كليهما التفاهم. حاولت الهبوط من السيارة ولكنها تعثّرت وهي تتألم وكادت تتهاوى وهي تخرج منها. هبط السائق من السيارة وسألها شيئاً باليونانية. آه لقد فهمت، انه يسأل أين ستذهب؟ أشارت الى أعلى المبنى، أومأ السائق مصدّقاً على كلامها وأخذ منها ألكسندر، ثم عاد اليها مرّة أخرى وأفضى اليها بحديث فهمت منه أنه سيحتفظ بالطفل معه. قالت صائحة:

«ولكنك لا يمكن أن تفعل ذلك، لا بدّ أن تسلمني الطفل».

ولكنه أشار ناحية السفارة الأمريكية. لم تبق لها حيلة معه فقالت صائحة:

«لا بأس، إحتفظ بالطفل كرهينة، ولكن لا تبرح مكانك هذا قبل أن أعود اليك».

بعد هذا الحديث والذي كان واضحا منه أن السائق لم يفهم منه شيئاً إندفعت الى داخل المبنى.

صعد بها المصعد الى حيث شقة لوكوس، وتعثرت وهي تندفع الى باب الشقة الخارجي وقرعت الجرس بشدة. كانت تشعر، والألم يكاد يعتصرها، أنها على وشك الاغماء. ألا يفتح أحد هذا الباب؟ ماذا لو أنهم كانوا جميعاً في الخارج؟ ماذا ستفعل حينئذ؟

فتح الباب ووجدت نفسها تندفع بين يدي لوكوس. قالت باكية:

«انني آسفة يالوكوس! كنت أنوي أن أرجع في وقت الغذاء. لم أقصد أن».

«على رسلك. على رسلك. أين كنت؟»

أخذت نفساً عميقاً وقالت معترفة:

«مع كولين، ولكنني لم أكن اقصد أن أذهب معه!»

نظرت اليه ولم تعرف ما الذي يفكر فيه.

« ألكسندر تحت في التاكسي. لم يكن معي نقود لأدفع للسائق ولم أفهم ماذا يقول».

«بالطبع. سوف أهبط لكي أدفع له الحساب وستقوم أليكترا بالعناية بألكسندر. وربما يحلو لك أن تجلسي لتتحدثي مع أمي حتى أعوده».

حاولت أن تتكلم ولكنه قاطعها:

«كلا ـ أسمع منك كل شيء عندما أعود وعندما تهدأين».

«أوه لوكوس. لا تعرف كم أنا آسفة. ما كان يجب أن أذهب على

الاطلاق».

دفعها برفق الى غرفة المعيشة قائلاً:

«أمي هناك. ولكن لا أحبّ أن أراك تبكين مرّة أخرى».

هبّت كزينيا واقفة على قدميها يروعها منظر زوجة ابنها، أجلستها على الأريكة ووضعت الوسادات بصورة تجعلها تشعر بالراحة:

«كيف تقع مثل هذه الأحداث الغاشمة!»

«سأنادي أليكترا لتصنع لنا الشاي. ولن نبكي بعد الآن، فلا يليق ذلك بنا بينما الرجال من حولنا».

«أوه إنّ رأسي يؤلمني».

تحسست كزينيا الكدمة في وجهها وقالت:

«هل رأى لوكوس ذلك؟ لن يسرّه ذلك أبداً»

«لقد كان الخطأ كله خطأي».

«ما هو الذي لن يسرّني».

قال لوكوس ذلك وهو يدلف من الباب، وضع ألكسندر بين يدي أليكترا وتوجّه الى تشاريتي. رفع ذقنها بيده وحرّك وجهها تجاهه. إرتعشت عضلة فمه وتحسسّ الكدمة بأصابع رقيقة لم تكد تحسّ بها.

«من يجرؤ أن يفعل بك هذا؟ هل هو كولين؟»

قالت له مؤكدّة:

«لا شيء».

«بينما أوقع بك هذا الأذى! سيكون لي معه حساب عسير، وعندما أصفّي معه الحساب سيتمنّى لو أن أمه لم تلده. أعدك بذلك يالمرأة بيتي. كان يجب أن يصفّي حسابه معي أنا، لا أن يواجه إمرأة بلا رجل

يحميها».

إرتعشت تشاريتي. ورفعت يده الى خدها مستمتعة بلمسته:

«إنّ الأمر هنا يختلف عمّا حدث مع فيث. ما كان يجب عليّ الخروج، كان الأجدر بي أن أحيك زر قميصك، عندئذ لما حدث شيء».

لم يظهر عليه ما توقعت من غضب:

«هذا ليس سجناً يا تشاريتي لا يمكن لأحد أن يخرج من بابه الخارجي».

«ولكنني كنت مرتبكة وغاضبة».

لمس شعرها وأزاحه برقة من فوق وجهها:

«ما الذي جعلك ترتبكين؟ ألأنني لم أذهب معك الى الأكروبوليس هذا الصباح؟»

أغضبها أن يتصوّر أنها ضيقة الأفق الى هذا الحد.

«أوه لوكوس. لقد رأيتك مع أريادني»

توقفت عن الكلام، وهي واثقة الآن أنه سينفض يده منها، ولكنه ابتسم بسخريه. قالت مرّة أخرى:

«انني آسفة».

«آه أجل أريادني. كان يجب أن تكوني أكثر ثقة في نفسك يازوجتي السخيفة! ولكن ذلك ليس وقت الشرح المطوّل لأشياء لا تعنيك، فلديّ أشياء أخرى يجب أن أنجزها!»

مال إليها وقبّلها بعنف:

«لم يخلق من يتجرأ أن يرفع الحجاب بينه وبين امرأتي، ويذهب هكذا بدون عقاب، سوف يدفع الثمن كاملاً».

قالت متوسلة:

«لا تؤذه»

قطب لوكوس جبينه:

«هل تتوقعين ان أكون رقيقاً مع مثل هذا الرجل؟ إنني أودّ أن اكسر رقبته!»

«نعم أعرف. ولكن كولين يظن أنك ثري للغاية وأنه سوف يقاضيك. ولكنني لم أحتمل ذلك وهذا ما جعله يفكر في أن يأخذنا أنا وألكسندر الى إنكلترا معه. إنه يعتقد أن ألكسندر ورث ثروة كبيرة من نيكوس، مليون جنيه! وأن المحاكم في إنكلترا ستمنحني الوصاية على ألكسندر، وهكذا أثرى».

«وماذا كان سيفعل في أمر زواجك بي؟»

«لقد تحدّث عن إلغائه. وقلت له ان ذلك مستحيل. ولكنه قال إنك ستتخلى عني بمجرد أن تكتشف أنني كنت معه. وظننت أنا ذلك أيضاً».

نظر اليها لوكوس نظرة براقة وقال:

«ذلك شيء أعتزم أن أسويه، الآن افعلي ما تقوله لك أمي تماماً. سأعود بأسرع ما يمكنني، وأريد أن أراك أفضل من الآن بكثير».

أحسّت تشاريتي بالسعادة الغامرة. إستراحت فوق الأريكة وراقبته وهو يخرج وأفكارها تسبقه الى عودته اليها. وخطرت لها فجأة فكرة أخرى أوقفتها على قدميها:

«ولكنه لا يعرف أين يوجد كولين».

إبتسمت كزينيا في خبث، تلك الابتسامة التي إشتهر بها اليونانيون وقالت:

«لا تقلقي يا ابنتي سوف يعثر عليه، وينتقم منه شرّ انتقام لما ألحقه بك من أذى».

«ولكنه قد يؤذي لوكوس».

لم يعن كزينيا كلامها هذا، فقالت في إحتقار:

«إنّ لوكوس رجل يا عزيزتي، ورجلك كولين هذا ليس سوى صبي شره كيف يتسنّى له أن يؤذي لوكوس؟»

وافقت تشاريتي على كلامها. فهي تعلم أنّ كولين هو الشخص الجدير بالقلق حقاً، ولكنها كانت متعبة الى الحد الذي تمنّت فيه فقط أن تسلم رقبته من قبضة لوكوس».

«هل سيؤذيه لوكوس؟»

«بالطبع. سيجد لوكوس طريقة لذلك. هل كنت تعتقدين أن زوجك يقوم بأقلّ من ذلك مع رجل ألحق بك الأذى؟»

«هل كان الأمر يختلف لو أنه هو الذي أصابني ومزّق ملابسي؟»

«أنه زوجك. انت متعبة ياعزيزتي. لماذا لا تستريحين برهة؟ أو على الاقل تغيرّين ملابسك وتغسلين وجهك المتغضن؟ سوف تعدّ لك أليكترا شيئاً لتتناوليه، وسأقوم أنا بوضع بعض المراهم على الخدوش في ساقيك».

«لست جائعة ولكن رأسي يؤلمني وأحسّ بجسدي متخشباً».

«إنّ حماماً دافئاً سوف ينعشك. على فكرة، أريادني ستتزوج برجل ما في كورينثوس. إذهبي ياعزيزتي لتأخذي حمامك وستحادثك أليكترا أثناء تناولك الطعام. فهي تجيد الانكليزية أفضل منّي. وسوف أرجئ تبادل الأحاديث معك الى أن تتعلّمي لغتنا».

أحسّت بالارتياح بعد الحمام الدافئ وبعد تغيير ملابسها. لم تعد تشعر بالألم في رأسها إلاّ حينما تحركه فجأة أو تنحني لتلتقط شيئاً من الأرض. وكانت جائعة برغم إنكارها ذلك في بادئ الأمر. توجّهت الى المطبخ والخجل يرتسم على وجهها. وابتسمت لأليكترا التي كانت ترضع ألكسندر بقية زجاجة اللبن.

كان قميص لوكوس على الطاولة وقد إستبدل الزر الناقص بعناية قالت:

«كان عليك أن تتركيه لي لأقوم أنا بذلك. لأنها مسؤوليتي الآن».

«لقد قمت أنت بغسل الملابس».

فرغت أليكترا من ارضاع الطفل وقالت لتشاريتي:

«خذيه وضعيه في مهده وسأقوم أنا بتسخين بعض الحساء لك».

«كان يجب عليّ أن أفكر فيه قبل أن أندفع خارجة من هنا هذا الصباح. ان كولين لا يعتبره إنساناً على الاطلاق ولا يعنيه أمره».

«لا عليك الآن. توقفي عن توجيه اللوم الى نفسك. لقد عدت به سالماً وهذا يكفي».

«هل ترك نيكوس مالاً كثيراً لألكسندر؟»

«وماذا يحدث لو أنّ الأمر كان كذلك؟»

«كنت أعتقد أنه هو وفيث لم يتركا أية نقود. فإنّ البيت الذي كانا يعيشان فيه في أراخوفا يبدو بائسا للغاية. خاصة وأن نيكوس كان لديه كل هذا المال».

«عندما ترك نيكوس الشركة، منعه لوكوس من استخدام أسهمه التي كان يمتلكها في شركة الشحن البحري. فقد أدرك لوكوس أنّ إنتاج المسرحيات في دلفي لن يستمرّ الى الآن، ماذا كان عليه أن يفعل حينئذ؟ فنيكوس عنده زوجة وطفل يجب إعالتهما، وكان عليه أن يتذكر ذلك. ومن المؤكد أن يعود الى أعمال الأسرة التجارية في نهاية الأمر».

«وهل كانت فيث تعلم بذلك؟»

« فيث؟ وما الداعي لأن تعرف ذلك؟ فهذا شيء معروف لدى لوكوس ونيكوس!»

حملت تشاريتي صينية الطعام الى غرفة المعيشة، وحاولت تجنّب نظرات حماتها المتسائلة حول الحديث الذي دار بينها وبين أليكترا.

سألت تشاريتي بصورة عفوية:

«هل تعتقدين أن لوكوس سيتأخر؟»

واصلت كزينيا حياكتها دون أن تجيب، وشغلت تشاريتي نفسها بتقطيع الخبز الى قطع صغيرة واغراقها في صحن الشوربة.

«لا أعتقد أن هناك متعة في أن يكون المرء امرأة، طالما أنّ كل ما على الواحدة منّا أن تفعله، هو مجرّد الانتظار. لا أدري كيف يتسنّى لك أن تجلسي هكذا هادئة، في الوقت الذي يمكن أن يحدث فيه أي شيء».

ابتسمت كزينيا وقالت:

«قال لوكوس إن عليك أن تستريحي».

«كلا لم يقل.. لقد قال انه يتوقع أن يجدني على صورة أفضل، وهو شيء يختلف تماماً».

«وهل تشعرين أنك أفضل الآن؟»

وافقت تشاريتي وهي تشعر بالخجل لانفجارها على هذه الصورة. تنهدت وقالت:

«هل تعتقدين أنه سيتأخر؟»

«لقد سألتني هذا السؤال من قبل، يجب أن تكون لك هواية لتشغلي نفسك بها في مثل هذه الأحوال».

إنفجرت تشاريتي ضاحكة في مرح وقالت:

«أمل الا تتكرّر مثل هذه الظروف كثيراً!»

توقفت ثم قالت وهي تشعر فجأة بالعصبية من جديد:

«لو إفترضنا أن شيئاً حدث له؟ إنني لن أغفر لنفسي ابداً. ليته أخذني معه!»

«لم يكن هذا مناسباً على الاطلاق. لماذا لا تشغلين نفسك بأي شيء؟ ماذا كانت هوايتك عندما تجلسين في منزلك في إنكلترا».

«لا أدري، كنت أتريّض سيراً على الأقدام، كما أنني أحب أن أتجوّل من مكان الى مكان وأمتّع عينيّ بالتطلع الى شتى البقاع».

إبتسمت كزينيا إبتسامة براقّة، تشبه تماماً إبتسامة إبنها وقالت:

«إذاً إذهبي الآن ومتعي ناظريك من الأكروبوليس. ستشعر براحة اكثر وتستريح من منظرك وأنت مائلة كالشبح، تهيّئين مذعورة عندما تسمعين نبرة صوت تحسبينه صوت لوكوس. هيّا اخرجي يا عزيزتي واستمتعي بوقتك».

وجدت نفسها ـ وقد أثارها هذا الكلام، مندفعة في شيء من الاعتراض:

«ولكن لوكوس سيعود الى هنا».

«سنكون هنا أنا وأليكترا. وسنبعث به ليبحث عنك بمجرد وصوله».

وألقت عليها نظرة مداعبة وقالت:

«على الأقل لن يكون هناك أحد يسمع حديثه معك. أحياناً يكون من الأفضل أن يتحدّث الرجل الى زوجته على إنفراد، أليس كذلك؟»

«كم أنت حبوبة».

قالت تشاريتي ذلك بحرارة وأحاطت كزينيا بذراعيها وقبّلتها فوق وجنتها وقالت:

«ولكنك ستقولين للوكوس أنها فكرتك، أليس كذلك؟ لقد قال لي أن أفعل أي شيء توحين به».

«سأشرح له الأمر بالضبط، والآن أرجو ان تذهبي قبل أن أغرز هذه الابرة في جسمي».

«ها أنا قد ذهبت بالفعل».

وأسرعت تشاريتي خارجة الى الممر لتلتقط معطفها.

١٢ ـ المصارحة

أبلغوها أنّ الأكروبوليس يغلق أبوابه عند غروب الشمس. وكانت الساعة قد وصلت الى الرابعة والنصف، وذلك يعطيها على الأكثر نصف ساعة تقوم خلالها بأول رحلة لها الى قلعة الرموز الأثينية الموجودة في أعلى مكان في المدينة، حيث كان اليونانيون القدامى يشيّدون هياكلهم. رفضت تشاريتي أن تناقش فكرة ترك المكان قبل أن يحضر لوكوس اليها. كان الأمر في نظرها غاية في الأهمية أن يأتي اليها هناك، الى حيث كان يأتي دائماً أبطال أثينا.

وقفت عند الطرف الجنوبي للمنحدر تنظر الى أعلى، وهي تعجب من فظاظتها التي تسمح لها بالاستمتاع بالمنظر أمامها، في وقت يقوم فيه زوجها بالانتقام من رجل ظلّت هي معجبة به الى ما قبل ذلك بيوم واحد، ومع ذلك فإنّ كل ما شعرت به لم يكن تعاطفاً مع كولين، وانما كان شعوراً بالفخر الغامر بأنها زوجة لوكوس، وأنه لهذا السبب فقط لا يسمح أن يمسّها أي اذى من أي إنسان آخر دون أن يدفع ثمناً غالياً. كان نوعاً بدائياً من الحب ولكنه كان كل شيء بالنسبة لها.

كانت تشاريتي تأمل أن ترى الجانب الشرقي من هيكل البارثينون والسور المحيط بأبوللو، تماماً كما شاهدته على غلاف الكتاب. وقضت تشاريتي وقتاً طويلاً تتطلّع الى البارثينون. وفي المتحف الملحق به شاهدت أبوللو الذي طالما تطلّعت الى رؤيته.

كان جالساً في استرخاء بين تمثالي بوسيدون رمز البحر و ارتيميس ورأسه يتجه نحو رمز البحر كأنهما يتبادلان حديثاً ودّياً. اقتربت منه فأدركت أن الشبه بينه وبين لوكوس يثير الدهشة. ربما يكون وجه أبوللو أكثر رقة وذقنه أقل صلابة، ولكن لعلّ ذلك الاختلاف لم يكن سوى نتيجة لعوامل الطبيعة طوال تلك القرون. كان الشبه بينهما كبيراً الى حد جعل الدموع تطفر الى عيني تشاريتي وقلبها يذوب في داخلها. ألاّ يأتي اليها بعد؟

وقفت عند أطلال السور، وتمنّت لو أنها تمكنت من لمس وجه أبوللو الرخامي. واسترجعت تشاريتي بعض الأساطير اليونانية القديمة التي قرأت عنها. تلك الاساطير التي تقول، إنّ المرأة الفاضلة هي التي لا يتحدث عنها أحد بشيء، سواء مدحاً أو قدحاً. انّ النساء الأثينيات كنّ يتزوجن الطامعين في ثرواتهن، ويلتزمن بيوتهن، ويلدن لأزواجهن أطفالهم الشرعيين. وعندما كان رجالهن يتطلّعون الى صحبة الجنس الآخر. كانوا يتوجهون الى نساء من مدن أخرى، ربما كنّ أقلّ احتراماً، ولكنهم كانوا يجدون في صحبتهن متعة أكبر.

مثل أريادني! ومع ذلك فإن أريادني ستتزوج رجلاً آخر من كورينثوس لو صحّ ما قالته كزينيا.

لقد كنت أطمع أن أكون الحبيبة المفضلة لدى لوكوس، ولكني أصبت بخيبة أمل، لا بد وأن لوكوس أحب المرأة الأخرى ولا يمكن أن يحبّ كلتينا أليس كذلك؟ لم يعر تمثال أبوللو شكواها التفاتاً ومضى في حديثه مع بوسيدون.

في الواقع انه لا يشبه لوكوس على الاطلاق. ذلك أن لوكوس لم يخذلها على الاطلاق في أوقاتها العصيبة، حتى عندما قابلها لأول مرة عند برج الرياح.

بدأ العمال في اغلاق أبواب المتحف واضطرت هي الى التحرك بعيداً عن السور وعادت الى الخارج، آملة أن ترى غروب الشمس. اذا كان لوكوس مزمعاً أن يأتي فلا بدّ وأن قدومه وشيك، كانت لوعتها عليه تعتلج رابضة بين جوانحها. عندما ألقت بنظرها تجاه الجانب الغربي من الأكروبوليس، وجدت نفسها تبحث بصورة آلية عن برج الرياح، لأنه كان مرتبطاً بلوكوس. ان كل مرّة ستراه فيها، ستعيش تلك اللحظة التي جاء فيها متجهاً اليها مثل أبوللو وقد دبّت فيه الحياة. إنها لا تستطيع أن تمنع نفسها من التفكير فيما يفعله لوكوس طوال ذلك الوقت.

لماذا لم يأت لوكوس؟ لم يتبق أمامها سوى دقائق، وبعد ذلك لا بد أن تعود. أغلقت عينيها وتذكرت كيف أن كولين تجاهل أمر زواجها كأنه شيء لا أهمية له. إنّ لها ديناً عليه لا بد أن تتقاضاه منه. فزواجها كان أثمن شيء في الوجود. كما أنها تدين له بشعورها بالكبرياء، فهو الذي أيقظ فيها الاحساس بالزهو كونها زوجة للوكوس، إحساس كانت هي خليقة به، وما من أحد يستطيع أن يسلبها هذا الاحساس. إنتصبت تمدّ قامتها الى أعلى ثم أخذت نفساً عميقاً لتملأ صدرها بهواء الأصيل.

«أنا السيدة لوكوس بابانديوس».

ارتفع صوتها بتلك الجملة. فوجدت يدان قويتان تعرفهما أينما كانتا توقظانها من احلامها. صاحت ووجهها يضيء بالسعادة:

« لوكوس! لقد أتيت أخيراً!»

إبتسم لها وقال:

«وهكذا يقدّم أبوللو لك معجزته في النهاية».

هزّت رأسها وقالت:

«كلا، ليس أبوللو. وانما هو أنت».

قال لها برقّة بالغة:

«هل فصلك بيننا في النهاية؟»

«أعتقد ذلك. أنا أعرف الآن ماذا أريد أن أكون. أريد أن أكون زوجتك يا لوكوس. على أي وضع، أريد أن أكون زوجتك فقط».

جذبها اليه وتحسّس الكدمة في جانب رأسها وقال جملة باليونانية أتبعها بقوله:

«لم أكن أشك في ذلك أبداً. هل تظنين أنني لا أعرف أنك تحبينني، كيف لا أعرف بعد ما حدث ليلة أمس؟»

إحمرّ وجه تشاريتي خجلاً وغيّرت موضوع الحديث قائلة:

«هل وجدت كولين؟»

«نعم وجدته».

أفزعتها صرامة صوته وقالت:

« لوكوس، هل ألحقت به أذى؟»

«لقد فعلت ما يجب عليّ أن أفعله».

«ولكنك لا تعرف كولين، ليس من الحكمة أن تجعل منه عدواً. اذا استطاع أن يتمكن منك مرة أخرى لما تردد، وأنا لا أطيق ذلك».

«أنا و كولين نفهم بعضنا تمام الفهم. ليس هناك ما يدعوك للقلق عليه. ان النساء يعقّدن مثل هذه الأمور، ومن الأفضل أن يبتعدن عندما يكون هناك اتفاق بين الرجال».

«لا يمكنك أن تقنعني بأن كولين وافق على أي شيء».

«لم لا؟»

«هل اتفق معك على شيء. لقد اعتقدت أنك قد تضربه ومن غير المحتمل أن يغفر لك ذلك».

ضحك لوكوس وقال:

«وهل أحسست بالرضى لأنني سأفعل هذا نيابة عنك؟ توذين الآن معرفة كل التفاصيل حتى تشعري بلذة الشماتة؟»

« لوكوس هل ضربته؟»

«نعم ضربته؟»

اتسعت عيناها:

«ولكنك لم تلحق به أذى؟»

لمس الكدمة في رأسها مرّة أخرى، وضمّ شفتيه وقال:

«لقد خرج بعين متورمة وكدمة مماثلة لهذه الكدمة».

صاحت تشاريتي:

«ولكنه لم يمسّك!»

«ولن يجرؤ على أن يمسّك أنت أيضاً مرة أخرى».

ضغط عليها بيدين قويتين وقربها منه. قالت له معترفة:

«إنني أستحق اللوم الى حدّ ما. ما كان عليّ أن أطلب منه المجيء من البداية. ولكنه كان الرجل الوحيد الذي أعرفه، واعتقدت انني إذا تزوجت ستترك لي ألكسندر تنفيذاً لرغبة أختي. وظننت أنني أعرف عنه كل شيء، ولكنني في الواقع لم أعرف عنه شيئاً بالمرّة».

رفعت رأسها اليه لتراه جيداً وقالت:

«هل كان نيكوس حقاً ثرياً، وترك كل أمواله لألكسندر؟»

قال لها لوكوس مداعباً:

«ألم تعرفي ذلك؟ أحياناً كنت أظنّ أنك لا تعرفين، ولكنني لم أكن أتصوّر أن فيث تلوذ بالصمت فيما يختصّ بهذا الأمر على الاطلاق. ألم تكتب لك عن ذلك الرجل الثري الذي تزوجته؟»

هزّت تشاريتي رأسها، وهي تتذكر كيف كانت تتألم لعدم تلقيها

رسائل من أختها. وقالت:

«لقد قلت لك من قبل أنها لم تكن تجيد كتابة الرسائل. كانت ترسل بعض البطاقات البريدية القليلة».

جذبت نفسها مبتعدة عنه وقالت:

«وهل تعتقد أن ذلك هو ما أتى بي الى هنا؟»

أحسّت بارتباك حقيقي وبأن رأسها بدأ يؤلمها من جديد وقالت:

«لقد اعتقدت أنك قد تكون أعجبت بي على الأقل. ولكن، كيف يحدث ذلك وأنت لا تثق بي».

«لا يهم ما أعتقده أنا. كان عليّ أن أحمي ألكسندروس برغم أي شيء أعتقده».

أحسّت بالهزيمة تماماً. قالت:

«يجب علينا أن نذهب الآن».

تنهّد ونظر الى وجهها الشاحب البائس وقال:

«إن كل ما نعرفه أنه لم يأت أحد منكم ليرى فيث».

«إنها لم تطلب منّا ذلك بالمرّة!»

«أعلم ذلك الآن. وان كنت قد عرفت الشيء الكثير عنك يا حبيبتي تشاريتي. كان ما أصبو اليه هو أنني أرغب في أن أقبّلك، وأن تنظري اليّ بهاتين العينين النجلاوين. وكل ما كنت أعرفه هو أنك أخت فيث، وأنها تزوجته من أجل أمواله، برغم أنها أحبّته فيما بعد».

«لم أكن أعلم ذلك!»

«لم تعلمي ذلك عن أختك؟»

اشتعلت عيناه البراقتان فألهبت في عينيها غراماً أنساها غضبها منه:

«لم أعلم ماذا كنت تريد مني!»

«أن أطارحك الغرام؟ كلا يا حبيبتي الحمقاء، كنت أظنّ أنك تعلّمت

شيئاً عني في الليلة الماضية لو أنك كنت محتفظة بقواك العقلية اذ ذاك!»

إنحنى عليها وقبّلها وكانت تشعر بضحكة فوق شفتها، قال مداعباً:

«سأبذل كل جهدي حتى أبدو في صورة أفضل هذه الليلة! هل سترحبّين بي بنفس الحرارة كما فعلت؟»

قاطعته بقبلة سريعة، وهي تحسّ بالارتباك من كلماته، إبتعدت عنه وحاولت أن تبعد وجهها عن عينيه الثاقبتين، حتى تخفي إحمرار وجهها خجلاً. سألته:

«ماذا فعلت مع كولين؟»

ضحك بصوت عال وقال:

« كولين ينتظر الآن طائرته في المطار. لقد صحبته بنفسي ومعي شرطي حتى مرّ من خلال مكتب الجوازات، فمن الناحية الفنية قد غادر الآن اليونان بالفعل، ولكن تجنّباً لأي شيء، فان هناك شخصاً يراقبه حتى يتأكد من أنه لن يعود ثانية!»

توقف عن الضحك وقال:

«إنني لا أتظاهر يا تشاريتي بأن الغيرة نوع من ضيق الأفق، هل هناك أي سبب يدعوني لأن أغار من كولين؟»

حملقت فيه تشاريتي، وهزّت رأسها ثم سألته:

«هل تغار عليّ؟»

قال في إيجاز:

«أنت إمرأتي. ألا يكفيك ذلك؟»

«نعم بالطبع يكفيني».

ولكنها ودّت لو أنه تحدّث أيضاً عن حبه لها. تحوّلت برأسها لترى

آخر شعاع في غروب الشمس، وقلبها يهتز إشتياقاً اليه. وقالت بصوت عال:

«يجب أن نذهب الآن. أبلغوني أنهم ينهون يومهم عند الغروب.»

سارا جنباً الى جنب عبر الممر المتعرّج ويداهما متشابكتان، بينما راحت هي تقول لنفسها، لقد حصلت على الكثير، وكانت تطمع أن يعبّر عن حبه لها بالكلمات، وتريده أن يقول لها أنه يرغب فيها، وأن يهمس في أذنيها بكلمات الحب.

وعندما تتزوج أريادني بسلام، ربما ينسى حبه لها ويتحوّل بحبه اليها في نهاية الأمر، تماماً كما تحبه هي. أنها ستنتظر هذا اليوم في لهفة حتى لو اقتضاها ذلك أن تنتظر عمرها كله! سألته عندما بلغا نهاية الممر:

«هل ستذهب الى البيت؟»

«ليس الآن يا عزيزتي. هناك كلام آخر يجب أن نقوله قبل أن نذهب الى البيت. بعض الأسئلة التي أرغب في توجيهها إليك وشيء آخر أودّ أن أقوله لك».

بحثت في ثنايا عقلها عما يمكن أن يسأل عنه، وعلى وجهها علامات الحيرة قالت:

«يمكن أن نعود الى البيت سيراً على الأقدام».

«أوه، كلا، لن تهربي من السؤال بهذه السهولة. سوف نتجه الى ذلك المطعم هناك ونطلب شاياً. وسنعود الى البيت فقط عندما ننتهي من حديثنا. فإنّ أمي و أليكترا ستكونان في انتظارنا بالبيت! هناك دائماً شخص ما في المنزل، وأنا أريدك لي وحدي لبرهة قصيرة.»

ابتسم وازداد بريق عينيه:

«أمي كانت قلقة جداً عليك. يبدو أنها تعتقد أنك تخافين مني، هل حقاً

يساورك الخوف مني يا تشاريتي».

«ليس خوفاً، ربما بعض العصبية».

«لأنني يوناني وأجنبي بالنسبة لك؟»

«كلا، كل ما في الأمر أنني لا أعرف ماذا تتوقع مني أن أفعل».

قطب جبينه وقال يغيظها:

«أظنّ أنني أوضحت هذا الأمر تماماً. ربما كنت أطلب الكثير من امرأة انكليزية تعتبر نفسها نداً لأي رجل؟»

حاولت أن تضحك معه ولكنها أحسّت أنها بائسة:

«أما أنا فلا أعتبر نفسي نداً لك».

أعجبه هذا القول وأحسّت بأعصابها تخونها. سألها:

«ماذا؟ إستمري في الحديث».

«إنه أمر واضح».

«واضح لي؟ أم لك؟»

ابتلعت ريقها وقالت:

«واضح لي. أنك الطرف الأقوى من الناحية الجسمانية، وأنت أيضاً أغنى وتنتظر مني أن أطيعك. لقد قلت لي ذلك. وأنا أحبّذ هذا الوضع»

ظلّ صامتاً. ألقت عليه نظرة سريعة، وودّت لو أنها أمسكت زمام لسانها. كان المرور كثيفاً أمامهما، ووقفا فترة قبل ان يستطيعا عبور الشارع. أمسك لوكوس بذراعها وهما يعبران ليصطحبها الى المطعم.

كانت الطاولات مفروشة بأغطية زاهية الألوان، ووضعت عليها المناديل النظيفة وأواني الزهور. كان هناك بعض الطلبة حول إحدى الطاولات يتجادلون، وفيما عدا ذلك كان المطعم يبدو مهجوراً . أشار لوكوس الى طاولة في الركن البعيد وقال:

«إذا جلسنا هناك استطعنا أن نتحدّث بدون إزعاج».

«لا أظنّ أن هناك شيئاً آخر يمكننا التحدّث فيه».

قالت ذلك وقد اشتعلت فيها روح التحدّي، خوفاً من أن يجعلها تبوح بأشياء أخرى. تلك هي مشكلتها، انه يعرف الكثير عنها في حين ظلّ هو على غموضه بالنسبة لها. كل ذلك بسبب لسانها الغبي! لم يكن هناك داع لأن تقول له أي شيء على الاطلاق.

رفع حاجبيه في دهشة ساخرة ولكن تعبير وجهه كان رقيقاً للغاية:

«ماذا تطلبين، شاياً... كعكاً».

وافقت تشاريتي فلم يكن يهمها ماذا تأكل، انفجرت تسأله:

«أية أسئلة تريد أن توجّهها إليّ؟»

«كنت أريد أن أعرف سبب انزعاجك هذا الصباح».

طرفت بعينها، شعرت بجفاف في حلقها وتورّم لسانها:

«لقد كان سخفاً منّي».

وانتظرت منه أن يقول شيئاً، ولكنه ظلّ جالساً هناك في صبر ينتظر منها أن تكمل حديثها.

«لقد قلت لي إنك مشغول في عمل».

ورمقته بنظرة غاضبة، ولكنها لم تستطع الاستمرار فيها. فهي لا تشعر بالغضب منه الآن. وما الذي يغضبها؟ انه لم يزعم أنه يحبها:

« لم يكن يهمني من الأمر شيء لو أنه حدث في أي مكان آخر، أو أي وقت آخر! هل كان من الضروري أن تقبّل أريادني هناك، وبهذه السرعة بعد ما حدث بيننا ليلة أمس؟»

«هل ستعودين للغيرة وضيق الأفق من جديد؟»

انكرت بحرارة على الفور.

«كلا إنني لا أغار. فأنا أعرف كل شيء عن أريادني، ولكنني كنت

www.elromancia.com

اظنّ...»

سألها بحدة:

«من قال لك شيئاً عن أريادني؟»

« أليكترا.»

«من الأفضل أن تفضي اليّ بما قالت لك. كنت أعتقد أننا نجحنا في إبعاد الأمر كله عن العائلة».

«إنّ العائلات تعرف دائماً مثل هذه الأمور. هناك دائماً شخص ما يفضي الى المجتمع بهذه الأشياء».

«أعتقد أنك على حق يا تشاريتي. حسناً، ثم ماذا؟»

«لقد قالت لي أن أريادني عشيقتك وأنك كنت غارقاً في حبها، ولكنك لن تتزوجها لأن الرجل اليوناني لا يفعل ذلك. على الرغم من أنني أرى أنه طالما أنك تحب فتاة حباً حقيقياً، فما الذي يمنعك من الزواج منها».

أعجبها أن يستمر في مداعبتها برغم عدم الارتياح الذي كانت تشعر به:

«لم أفعل ذلك لأن هناك اعتقاداً يونانياً بأن المرأة التي تعطي نفسها للرجل مرة بدون زواج، ربما تفعل ذلك مرة أخرى، وهذا أمر لا نحبه في زوجاتنا!»

«أوه!»

«ماذا قالت لك أيضاً أليكترا؟»

«قالت إنّ عائلة أريادني غاضبة منها. أنتم شعب غير متسامح أليس كذلك؟»

هزّ لوكوس رأسه نفياً وقال:

«أن مشاعر الكراهية تظلّ ملتصقة، وترجع بنا الآف السنين الى الوراء،

حتى انها تعود بنا الى عهد هوميروس وهذا هو ما يجعلنا أفضل فرسان العشق على وجه الأرض».

لمعت في عينيه الضحكة وسألها فجأة:

«وهل صدّقت أليكترا؟»

«بالطبع، بالاضافة الى أني رأيتكما معاً».

«إذاً لماذا وافقت على الزواج بي؟»

توقف تنفسها في حلقها وقالت دون أن تنظر اليه:

«انت تعرف لماذا تزوجتك! قالت لي أمك ان أريادني ستتزوج شخصاً من كورينثوس.»

صحّح كلمتها قائلاً:

« نافبليون، أظنّ أنها تعرف كل شيء عن ذلك أيضاً».

مدّ يديه عبر الطاولة وأمسك بيدي تشاريتي، ليتأكد أنها تصغي إليه باهتمام كامل:

«أعتقد أنني بدأت أفهم لماذا كنت تظنين أنها فتاتي أريادني كما أطلقت عليها. ولكنك مخطئة فلم أكن أحبها في يوم من الأيام وهي أيضاً لم تكن تحبني. لم أستطع أن أبوح لك بذلك حتى لا أثير مشاكل عديدة. ولم أرغب أن أثقل عليك بشيء ليس من شأنك؟»

«ليس من واجبك أن تقول لي».

«صحيح؟»

رق وجهه لها ولمحت في عينيه نظرة أسرعت بدقات قلبها:

«أعتقد أننا مدينون لك بأن نبلغك القصة كلها، يا حبيبتي، إذا كانت مجرّد قبلة اعتراف بالجميل من أريادني لانهاء مشاكلها في الحياة يمكن أن تشغلك الى هذا الحد».

قاطعته:

«لم تكن قبلة عرفان بالجميل».

هزّ كتفيه وقال:

«أن أريادني ممثلة، وهي تجيد تمثيل أي موقف. يجب أن تصدقيني عندما أقول لك أنها قبلة عرفان بالجميل. رغم أنها لم تكن تحبني كثيراً، حتى الآن وبعد أن وجدت لها زوجاً ومنحته مبلغاً لا بأس به يكفي لأن يتزوجها! لقد كان الأمر كلّه يتعلّق بنيكوس. عندما تزوج فيث، ارتبطت هي برجل آخر وتمنّينا لها جميعاً حظاً سعيداً. ولكن ذلك لم يحدث. فقد طلب منها نيكوس أن تذهب الى دلفي حتى تكون الى جانبه، وكانت بينهما علاقة طيبة. وأعتقد أن نيكوس كان يشعر بالتعب من تصرفات أختك، وعندما اكتشفت فيث العلاقة بينهما، وكان هذا شيئاً مؤكداً في نهاية الأمر، صمّمت أن تترك نيكوس وأن تأخذ الطفل معها. حدث ذلك عندما أرسلت تطلبك».

انحسر الدم من وجه تشاريتي وقالت:

«ولكنكم قلتم جميعاً أن اللوم يقع على فيث!»

«كانت أختك مخطئة كثيراً. فهي لم تخف سبب زواجها من نيكوس، لقد تزوجته لأنه رجل ثري! وعندما قرر الذهاب الى دلفي، ظلّت تتشاجر معه طوال الوقت وجعلت من حياته جحيماً لأنها لم تشك في شعوره تجاهها. وكان عليها أن تدرك، كزوجة له، أنه قد يلتمس راحته في مكان آخر. وينبغي عليها أن تغيّر من معاملتها وأن تجعله يعود اليها مرة أخرى، خاصة بعد أن علمت أنها تحتاج اليه، بل وتحبه أيضاً. كان يجب عليها أن تنتظره في بيتها مع ابنها وأن تتعلّم كيف تكون زوجة صالحة بدلاً من أن تكون طفلاً مدلّلاً. ولكنها أرسلت أولاً في طلبك، ثم بعد ذلك فرّت هاربة من منزلها في الوقت الذي كان نيكوس يحاول أن يصلح من أموره معها، وتسبّبت بعملها ذلك في

مصرعها».

أحسّت تشاريتي بأن ذلك حكم جائر ضدّ أختها. صحيح أنّ اليونانيين لا يسامحون بسهولة. و فيث في رأيهم تفتقر الى صفات الأنثى التي يعتبرونها ذات أهمية قصوى. لقد وجدوا فيها مطعناً لأنها لم تكن تشبههم، والتمست لها تشاريتي العذر قائلة:

«ربما لم تعلم ما الذي يجب عليها أن تفعله. أستطيع أن أقدّر كيف كان شعورها».

قال في شيء من الغرور والتعالي:

«لم أكن أنا لأسمح لك بأن تتركيني تحت أي ظرف من الظروف».

كان يتحدّث بثقة كبيرة في النفس. وله الحق في أن يكون كذلك. فقد قالت له أنها تريد أن تكون زوجته مهما كانت شروطه، وقد أثبتت ذلك بالفعل بزواجها منه، برغم أنها كانت تظنّ أنه يحب أريادني.

ابتسمت له وقالت:

«وكيف كنت ستمنعني؟»

«لا تعوزني الوسيلة. لا أعتقد أن مقاومتك لي ستكون قوية إذا قررت أن أجعل منك زوجة محبّة. لأن دفء قلبك سيفضحك، ويجعلك تشعرين بالقلق علي وتعودين لتطمئني إذا كنت سعيداً بدونك، ويشعرك بالذنب كما لو كنت قد قتلتني».

«كلا لم أكن لأعود».

كان انكارها يفتقر الى الاقناع مما جعلها تضحك. كم هي حمقاء لتقول ذلك في وقت يعلم كلاهما تماماً أنّ شيئاً في الدنيا لن يجعلها تتركه، مهما فعل بها. قالت متنهدة:

«مسكينة فيث! كنت أتمنّى أن تكون أسعد من ذلك».

تقابلت عيناها مع عيني لوكوس ولمحت فيهما شيئاً من القلق

سألها:

«هل حبك لي، يمنحك السعادة؟»

«إنني سعيدة جداً».

كانت تعلم أنه سيجيء وقت تتوق فيه الى رؤية الأرض التي ولدت فيها وشبّت عليها، وتتوق الى سماع لغتها والى عادات أصدقائها الانكليز المختلفة. ولكن لن يجيء وقت أبداً تندم فيه على أنها تزوّجت لوكوس، سألته:

«ماذا كنت تريد أن تقول لي؟ أو أنك كنت تريد أن تتحدث عن فيث؟»

هزّ رأسه نفياً وقال:

«كلا إذ كان ينبغي أن أقول لك هذا الشيء منذ وقت طويل ولكنني كنت أظن أنك تعرفينه بالفعل».

تحسّس خاتم الزواج في اصبعها وقال:

«يا حبيبتي تشاريتي، ألا تعرفين حقيقة أنني أحبك؟ صممت على أن أتزوجك وأجعلك لي وحدي منذ أول مرّة رأيتك فيها عند برج الرياح؟ ولكن ماذا فعلت أنت؟ أتيت بمن يدعى كولين وهو، كما يعرف الجميع، لن يقدّرك أو يسعدك! ألم تشعري بأنني أحبك عندما قبّلتك في يوم عيد الميلاد، أو في دلفي في الوقت الذي لم تفعلي فيه شيئاً سوى وعدك بأن تتزوجيني فقط لأنني كنت في نظرك جسر العبور الى ألكسندر».

حملقت فيه. ثم قالت معترفة:

«كل ما كنت أعرفه أنني كنت غارقة في حبك. وأنا أحبك بالفعل يا لوكوس. أحبك لدرجة أني أشعر بلواعج الشوق ليل نهار. أنت لا تعرف كم أحبك! ولا أتوقع منك أن تبادلني مثل هذا الحب، ولكن لو

أنك أحببتني حتى ولو قليلاً».

توقفت عن الكلام عندما شاهدت تعبير وجهه:

« لوكوس؟»

«حتى ولو قليلاً! لقد أمضيت ليلة كاملة أبثك حبي الجارف. أوه تشاريتي، يا حبيبتي، كلّما أسرعت في تعلّم اللغة اليونانية كلّما كان أفضل! ومع ذلك فلا بد أن لديك فكرة غريبة جداً عني جعلتك تعتقدين أنني يمكن أن أكون مع غيرك يا حبيبتي كما كنت معك ليلة أمس».

«كنت أعتقد».

أغمضت عينيها ونظرت اليه خلسة من بين أهدابها، وهي تشعر بسعادة غامرة لأنها تمكنت من إثارة عواطفه، تماماً كما تذوب هي حباً فيه. قالت وهي تبتسم:

«قد لا تكون أبوللو حقيقة، ولكنك بالنسبة إلي رجل شبيه بالرموز».

داعبها عند مؤخرة عنقها بقوّة كاسحة جعلتها تلهث. قال:

«هيا بنا نعود الى البيت يا تشاريتي. سوف نرسل ألكسندروس و أليكترا عند والدتي لبعض الوقت. فأنا أريد زوجتي لي وحدي لفترة قصيرة».

نظرت إليه وقالت:

« لوكوس هل حقاً تحبني؟»

«حقاً أحبك، وسوف أثبت لك ذلك حالاً مرة أخرى».